وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

# التصريح الشرفي

## الخاص بالتزام قواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي أسفله السيد بن كيحول عبد الرزاق الصفة (طالب ، باحث ، باحث دائم )

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم 210641891 الصادرة عن سيدي عيسى بتاريخ 2021/06/12

المسجل بكلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي والمكلف بإنجاز بحث ( مذكرة تخرج ، مذكرة ماستر ، أطروحة دكتوراه) عنوانه الحلل المكاني في رحلة الوزير في افتكاك الأسير لـ: حمد الغساني الأندلسي

أصرح بشرفي أنني ألتزم بالمعايير العلمية والمنهجية والأخلاقية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المسجل أعلاه، وأتحمل مسؤولية مخالفة ذلك.

التاريخ 2024/07/01 التوقيع

مصادقة البلدية

مصدق على التوقيع
المسيلة في 01
رئيس المجلس الشعبي البلدي
عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
وبتفويض منه، عون رئيس المجلس الشعبي البلدي
بن عبد الكريم بشرى

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

# تصريح شرفي
## (خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

**أنا الممضي أدناه،**

السيد(ة): يوزان بوبكر الهيبة الصفة: طالب
الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 207642739 والصادرة بتاريخ: 2022.03.29
بدائرة المسيلة
المسجل(ة) بكلية: **الآداب واللغات** قسم: **اللغة والأدب العربي** أدب حديث ومعاصر
والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر . عنوانها:

الحيلة المكانية في رحلة "الوزير في افتكاك الأسير"
لـ: محمد الغساني الأندلسي -

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية و النزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في 2024.04.27
**إمضاء المعني**

ملاحظة : أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 . الذي يحدد القواعد المتعلقة بـ الوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها .

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل: ط1: 23075115308

رقم التسجيل: ط2: 23085082999

# الحبك المكاني في رحلة "الوزير في افتكاك الأسير" لـ: محمد الغساني الأندلسي

مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبين:

- بوبكر الصديق بورنان.
- عبد الرزاق بن كيحول.

أمام لجنة المناقشة:

| الرقم | اسم ولقب الأستاذ | الرتبة العلمية | الجامعة | الصفة |
|---|---|---|---|---|
| 1 | د.أحمد أمين بوضياف | أستاذ | جامعة المسيلة | رئيسا |
| 2 | د. حلاب عبد الحليم | أستاذ محاضر ب | جامعة المسيلة | مشرفا ومقررا |
| 3 | د. بوديسة بولنوار | أستاذ محاضر أ | جامعة المسيلة | ممتحنا |

السنة الجامعية: 1445/1444هـ – 2024/2023م.

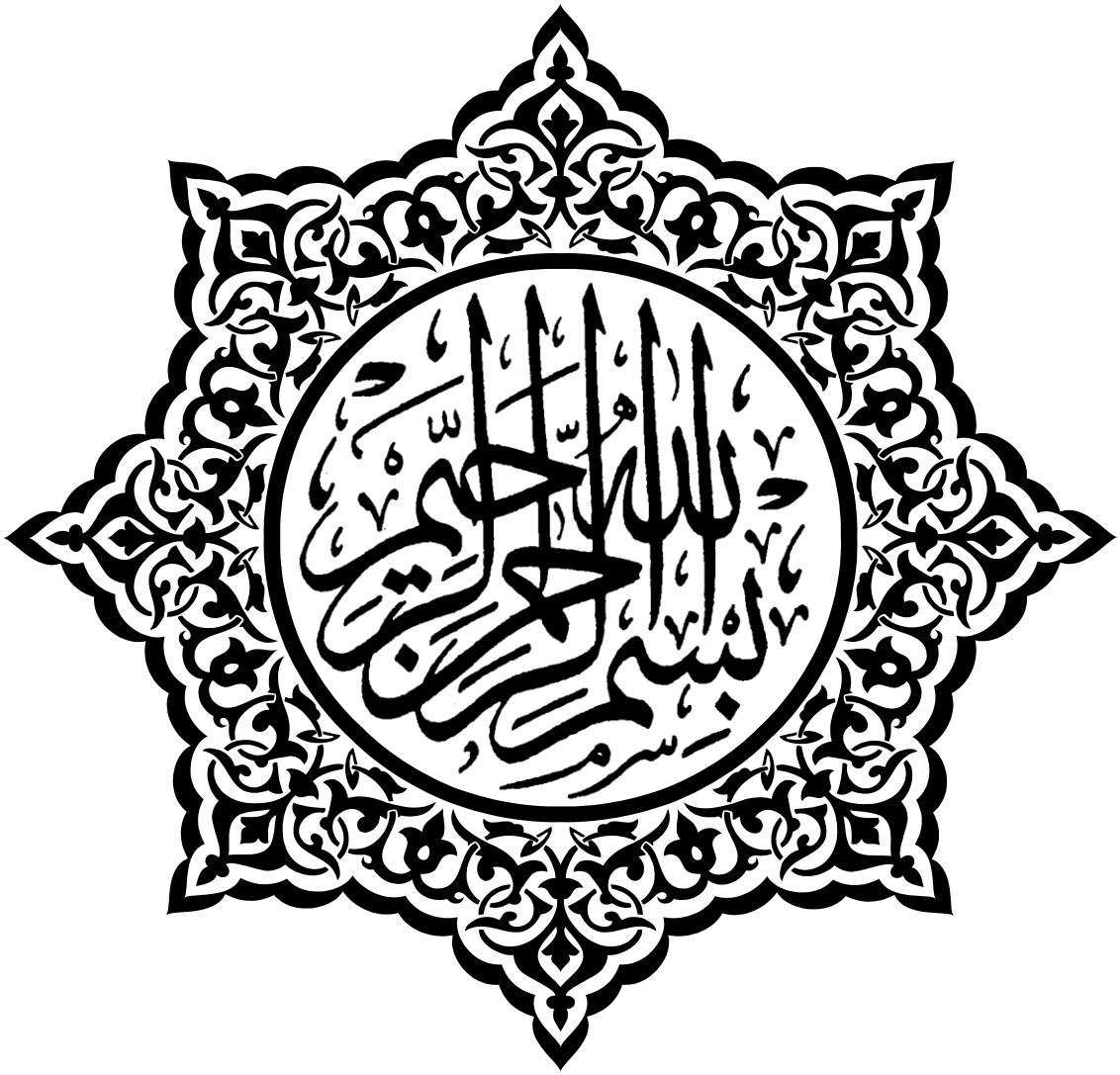
بسم الله الرحمن الرحيم

# شكر و عرفان

نشكر الله سبحانه وتعالى على فضله وتوفيقه لنا ، والقائل في محكم تنزيل

**{وإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ .... } الآية رقم: (07)** سورة إبراهيم

لقد زفت دموع الأقلام إلى أوراق تخط عليها أجمل العبارات، و لإن كتبنا شعرا طول العمر ينتهي العمر ولا تنتهي الأبيات، فهل بإمكان الأقلام أن تعبر عن الشكر و العرفان ، وهل تكفي الأوراق لكل الكلمات ، فما علينا سوى اختصارها في هذه العبارات :

فكل الشكر

إلى أستاذنا المشرف **(أحمد أمين بوضياف)** منبع المعرفة و السراج

كل الشكر له

وإلى كل الأساتذة الذين سقونا من بحر المعرفة حتى وصلنا إلى أعلى الدرجات

كما نتقدم بالشكر إلى اللجنة المناقشة وإلى كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذه المذكرة

# مقدمة

**مقدمة:**

لقد عرف العرب منذ القديم عدة فنون سردية مرتبطة بتراثها الأدبي من بينها أدب الرحلة الذي يعتبر من الفنون الأدبية التي شاعت لدى العرب منذ القديم والواقع أن هذا الفن موغل في القدم عرفته قبل العرب أمم أخرى كالفراعنة والفينيقيين والرومان والإغريق، ثم جاء الرحالة العرب الذين جابوا الآفاق واشتهر منهم كثيرون مشرقا ومغربا أمثال ابن جبير، وابن بطوطة والإدريسي، وابن حمادوش صاحب الدراسة وغيرهم.

وإذا كان المكان في السرد التخييلي هو نقطة انطلاق من أجل تحريك خيال القارئ، فإنه في الرحلة مكان حقيقي يود السارد أن ينقله بواسطة اللغة إلى من لم يشاهده ليتخيله، ولهذا لا يصبح الوصف المرتبط بالمكان ذا خاصية زخرفية أو تزيينية كما في السرود التخيلية، وإنما يصبح هذا الوصف توثيق الشيء كما هو موجود، والإحتفاظ به كمشهد.

لهذا فإن المكان في الرحلات هو المرجع الذي يشكل الخلفية الطبيعية لأحداث فعل السفر، عبر الطريق الممتد من نقطة الانطلاق إلى نقطة الوصول ثم العودة، وهذا الخط الأفقي تتعدد مناظره، فهناك مناظر الأودية، والجبال، وهناك المدن والقرى، وناس عاديون وعلماء، وخيرون طيبون وأشرار، وقطاع طرق، وهناك مساجد وقبور، وأسواق... الخ، وهذا العالم الفسيح يشكل الفضاء الرحب لكل رحلة، وبهذا تصبح الرحلة هي المؤطرة للمكان لكون الإنتقال من مكان إلى آخر يصحبه تحول في الشخصية، وهذا ما يجعلها قادرة على التعامل مع الآخرين، أما حين تعيش في أماكن مغلقة معزولة، قد تعيش في عالم من الوهم تسقط مع أول تجربة في التعامل مع الآخرين.

إن المتأمل في السرد العربي القديم يجد ثمة علاقة بينة تربط بين السارد وبيئته وتتخذ من المكان عنصرا أساسيا يضفي على هذه العلاقة صبغة خاصة، وقد حاول هذا البحث الموسوم بـ "**الحبك المكاني في رحلة الوزير في افتكاك الأسير لمحمد الغساني الأندلسي**"، دراسة المكان باعتباره بنية من البنيات التي تكون الرحلات، حيث يلعب هذا المكان دورا هاما في بناء الرحلة، وفي تركيبها فهو الإطار الذي يحوي الأحداث، وتتحرك فيه

الشخصيات، بل يتجاوز كونه مجرد إطار لها أحيانا لتصبح له فاعلية في هذه الأحداث، كما أنه يعتبر عنصرا مهما في تشكيل بنية النص

السردي، من خلال علاقته بالإنسان لكونه بعد انعكاسا لسلوك صاحب النص.

وقد جاء هذا الموضوع نتيجة جملة من الأسباب لعل أهمها ما يلي:

الكشف عن حبك أي طبيعة ووظيفة المكان في الرحلة، لأن عزل المكان هنا لا يستند على أي مبدأ، ولا يأتي هذا العزل كضرورة تتطلبها الدراسة لمختلف العناصر المؤلفة للخطاب السردي، حيث لا يمكن تصور المكان بمعزل عن باقي عناصر السرد، ولكن كضرورة إجرائية لاكتشاف أنواع المكان وطبيعته ومميزاته في رحلة الوزير في افتكاك الأسير.

وجاء اختيارنا لرحلة الوزير في افتكاك الأسير لمحمد الغساني الأندلسي أنموذجا للتطبيق كونها من أشهر الرحلات السفارية في الأدب العربي، كما أنها اعتبرت وثيقة تاريخية مهمة في تاريخ الصراع بين العرب والغرب.

- الرغبة في الاطلاع على كتب الرحلات وما تحمله من مغامرات.

- لندرك هذا التواطئ الحاصل بين النص الرحلي وخطابات أدبية أخرى كالسيرة والقصة.

- لنعرف كيف تستطيع هذه الرحلة أن تقيد المؤرخ والجغرافي وعالم الاجتماع وجميعهم يحتاجون إلى التعامل مع الأمكنة ومعرفة خصوصيتها.

ومنه نطرح الإشكالية التالية:

- كيف تمظهر الحبك في رحلة الوزير في افتكاك الأسير في وصف الأماكن وأبرز جماليات الرحلة؟.

وعليه فقد سار هذا البحث وفق خطة تضمنت فصلين وخاتمة تصدرتها مقدمة حيث:

جاء الفصل الأول المعنون بـ: "**ضبط المفاهيم والمصطلحات**"، كان نظريا حيث تناولنا فيه مفهوم المكان، وأنواعه وأهميته في النص السردي، وعلاقاته بعناصر السرد القصصي (الشخصية، الحدث، الزمن اللغة) كما تناولنا كذلك مفهوم الرحلة، ونشأتها، وخصائصها الفنية وأنواعها.

أما الفصل الثاني المعنون بـ: "**الحبك المكاني في رحلة الوزير في افتكاك الأسير**"، وكان تطبيقيا فقد أفرد لدراسة المكان في الرحلة كما عرضنا تعريفا برحلة الوزير في افتكاك الأسير ومضمون الرحلة، وخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة.

أما المنهج المعتمد في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي المعتمد آلية التحليل لأنه أكثر توافقا مع طبيعة الموضوع، فالرحالة وهو ينتقل من مكان إلى آخر أثناء رحلته يصف لنا الأماكن التي حل بها كما يصف الأحداث التي عاشها والشخصيات التي تعامل معها، فيصف الحركات والألبسة والعادات والتقاليد... أي أنه يعمل على تقديم كل التوضيحات والتفاصيل للمتلقي.

أما أهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا في الدراسة كانت رحلة الوزير في افتكاك الأسير لمحمد الغساني الأندلسي، بنية الشكل الروائي لحسن بحراوي، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي لحميد الحميداني، السرد العربي مفاهيم وتجليات، سعيد يقطين.

وككل بحث علمي فإن بحثنا باعتباره نظري تطبيقي لم يخل من الصعوبات والعراقيل لعل أهمها: توسع الموضوع، وضيق الوقت للبحث والاطلاع أكثر.

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف "**أحمد أمين بوضياف**" على ما قدمه لنا من نصائح وإرشادات ساعدتنا على إكمال بحثنا هذا وعلى ما أولانا من رعاية كريمة وعناية عظيمة فجزاه الله عنا وعن أهل العلم خير جزاء.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء لجنة المناقشة على تفضيلها قراءة هذا البحث وعلى ما ستقدمه من تصويبات تسهم إن شاء الله في إثراء هذا البحث.

وختاما نتمنى من المولى عز وجل أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يجعل عملنا نافعا، وخالصا لوجهه الكريم، فإن أصبنا في هذا البحث بتوفيق من الله سبحانه، وإن أخطأنا فسبحانه وتعالى المنزه عن الخطأ.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على النبي المرشد إلى كل الخيرات، وعلى آله وصحبه المقتدين بهديه مادامت الحياة.

# !+

# ضبط المفاهيم والمصطلحات

**أولا: المكان، المفهوم والأنواع والأهمية**

1- مفهوم المكان

2- أنواع المكان

3- أهمية المكان في النص السردي

4- علاقة المكان بعناصر السرد القصصي

**ثانيا: أدب الرحلة المفهوم النشأة، الخصائص الفنية، والأنواع**

1- مفهوم الرحلة

2- نشأة أدب الرحلة وتطوره

3- أنواع الرحلات

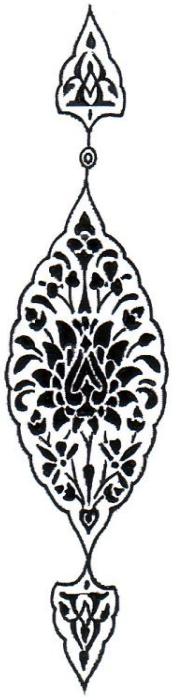

**أولا: المكان، المفهوم والأنواع والأهمية.**

**1- مفهوم المكان :**

لقد أثبت المكان منذ القديم دوره الكبير في تكوين حياة البشر، وترسيخ كيانهم، وتثبيت هويتهم، وتحديد، تصرفاتهم، وإدراكهم للأشياء لكونه شديد الارتباط بذواتهم، فالمكان هو الموضع الذي يولد فيه الإنسان والذي يستقر فيه والذي يعيش فيه ويتطور فيه حتى ينتقل من حال إلى أخرى.

**- المفهوم اللغوي للمكان :**

جاء في لسان العرب مفهوم المكان لغة تحت الجدر «كَونَ» بمعنى: «المكان: الموضع، والجَمْعَ أَمْكِنَة وأَمَاكِنُ ، تَوَهَّمُوا الميم أصلاً حتَّى قَالُوا: تَمَكَّنَ فِي المَكَانِ»[1].

وقد أعاد "ابن منظور" الحديث في لفظة المكان تحت الجذر «مَكَنَ» فَقَالَ: «المَكَانُ: المَوْضِعُ والجَمْعُ أَمْكِنَةَ، كَقَذَالْ وأَقْذِلَةٍ، وأَمَاكِنَ جَمَع الجَمْعِ. قال "تعلب": يبطل أن يكون مكان فعالاً لأن العرب تقول: كُن مكانك، وقُمْ مكانك ، واقعد مَقْعَدَكَ، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه ؛ قال : وإِنَّما جُمع أمكنة فعاملوا الميم زائدة معاملة الأصلية، لأنَّ العرب تشبه الحرف بالحرف».[2]

على الرغم من ذكر ابن منظور المكان ضمن الجذرين «كَوَنَ»و «مَكَنَ» إلا أنه يؤكد أن الجذر الحقيقي للمكان هو «كون» وليس «مكن».

ويستند القاموس المحيط للفيروز أبادي" في تعريفه للمكان للسان العرب حيث جاء الجذر «كون» ما يلي: « الكَوْنُ : الحدث، كالكَيْنونة والكائنة: الحادثة. وَكَونَهُ: أَحْدَثَهُ... والمَكَانُ: الْمَوْضِعُ، كالمَكَانَةِ : أَمْكِنَةً وأَمَاكِنُ... والمصدرُ : الكَوْنُ ، والكيَانُ والكَيْنُونَةُ... والمَكَانَةُ: جا المَنْزِلَةُ»[3].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة (كون)، تح خالد رشيد القاضي، ط1، دار صبح، بيروت، لبنان، 2006م، ج12، ص 185

[2] المصدر نفسه، مادة "مكن"، ج13، ص 157

[3] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط مادة (كون)، تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة باشراف: محمد نعيم العرقوسي، طع مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2005م، ص 1228.

ويؤكد أصحاب "القاموس المعاصر" «المنجد في اللغة العربية المعاصرة» أن المكان مشتق من الجذر "كون" وهذا في قولهم مكان: جمع أمكنة وجمع الجمع أَمَاكِنُ، موضع وهو مفعل من كون »[1].

من خلال ما تقدم نستنتج أن القواميس العربية جميعها تؤكد على أن الجذر الحقيقي للفظة المكان هو "كَونَ" وليس "مَكَنَّ" وأجمعوا على أن المكان هو الموضع، والخلق، والمنزلة، والحيز والمركز، والمكانة الرفيعة.

إذن لا يكون للمكان معنى بالمفهوم المعجمي العربي إلا إذا ارتبطت به الحياة، فالمكان هو الموضع الذي تدب فيه الحياة.

أما في التنزيل الحكيم فقد وردت لفظة مكان بدلالات ومعاني متعددة منها ما يدور حول معنى المستقر ومنه قوله تعالى "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا"[2] أَي: اعتزلتهم وتنحت عنهم، وذهبت إلى شرق المسجد الأقصى.

ومنها ما جاء بمعنى المنزلة الرفيعة في آيات عديدة منها قوله تعالى «قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندا»[3] وشَرُ مكان أي منزلة. كما وردت بمعنى الموضع كقوله تعالى: «مَكَانًا سُوًى»[4] وقوله أيضا: «وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا[5]».

من خلال ما تقدم نستنتج أن من أبرز المعاني المذكورة للمكان في القرآن الكريم هي: «المستقر، المنزلة الرفيعة الموضع».

**- المفهوم الفلسفي للمكان :**

لقد تعددت مفاهيم مصطلح المكان لدى الفلاسفة ابتداءً من فلاسفة اليونان القدامي وانتهاء بفلاسفة العصر الحديث.

---

[1] المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، ط1، بيروت، لبنان، 2001م، ص 1357.

[2] سورة مريم ، الآية 16

[3] سورة مريم ، الآية 75

[4] سورة طه ، الآية 58

[5] سورة الفرقان ، الآية 13

إذ يعرفه "أفلاطون" بقوله: «هو الحاوي والقابل للأشياء»[1]. فمن هذا التعريف يتضح أن المكان كل ما يقبل الأجسام أو ما يحتوي الجسم.

ثم جاء أرسطو الذي بحث في مصطلح المكان بحثا مفصلا، وعرفه بقوله: «هو نهاية الجسم المحيط ونهاية الجسم المحتوي»[2].

من خلال هذا القول نلاحظ أن المكان هو الحيز الذي يشغله أي شيء في هذا الكون ونجد أرسطو في هذا التعريف قد أخذ بتعريف أفلاطون وتوسع فيه بشكل قليل.

أما الفيلسوف الرياضي "إقليدس" فالمكان عنده هو ثلاثي الأبعاد، الطول والعرض والعمق. ويوافقه في ذلك "ديكارت" وهو من فلاسفة العصر الحديث، بأن المكان يمتد في الأبعاد الثلاثة.

ولم تخرج التصورات الفلسفية الإسلامية للمكان عن المفاهيم السابقة، حيث نجد الفلاسفة المسلمين لا يختلفون كثيرا في تعريفاتهم عن فلاسفة الغرب.

فمثلا نجد "أبو حامد الغزالي" يعرف «المكان بقوله إن المكان عبارة عن سطح الجسم الحاوي، أعني سطح الباطن المماس للمحوي»[3].

أما "إخوان الصفاء" يرون بأن «مكان كل متمكن هو الجسم المحيط به».[4]

حسب الآراء الفلسفية في مختلف العصور فإن أهم خاصية ركزت عليها مقاربات المكان هي صفته الاحتواء / احتواء الأجسام أو استقرارها عليه وموضع حركتها فيه.

إذن فإن هذه التعريفات الفلسفية الغربية والعربية الإسلامية – تعريفات حسية قابلة للملامسة.

---

[1] ينظر: عبد الرحمان بدوري، مدخل جديد إلى الفلسفة، طال، وكالة المطبوعات، الكويت، 1979م، ص 196.

[2] أريسطو طاليس، الطبيعة تر: إسحاق بن حسين، تح عبد الرحمان بدوري، ط1، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1984م، ص 271

[3] ينظر: باديس فوغالي الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 2008م، ص 173.

[4] إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء تقديم عليوش عبود، نط، موقم للنشر، الجزائر، 2007م، ج2، ص 98.

وفي المعاجم الفلسفية تعددت أيضا أوجه النظر إلى المكان حيث يرد المكان في موسوعة "لا لاند" الفلسفية بأن: «مكان ،مجال ،فضاء مدى espace وسط مثالي متميز بظاهرية أجزائه تتمركز فيه مداركنا»[1].

**- المفهوم الأدبي للمكان :**

إن المكان في الأدب ينظر إليه من جوانب وأبعاد مختلفة فهو يحمل دلالات متعددة على عكس المكان الحقيقي الذي سعت إليه الدراسات الفيزيائية إلى تحديد أبعاده، وبحثت الدراسات الفلسفية عن تعريف حسي له فحسب.

لقد وظفت الدراسات النقدية الحديثة مصطلح "المكان بمفاهيم مختلفة منها: "المكان، القضاء، الحيز الفراغ، الموقع...الخ"، هذا الاختلاف في طبيعة المصطلح أدى إلى اختلاف النقاد في تعريفات المكان، فهو مصطلح غير مستقر يشهد تنازع الجانبين النقديين الغربي والعربي في تصوراتهما عن المكان، ولذلك سوف نشير إلى جهود بعض نقاد الغرب والعرب الذين تناولوا مصطلح المكان / الفضاء / الحيز.

تشير "سيزا قاسم" في هذا الصدد في كتابها "بناء الرواية"، إلى أن بعض النقاد الغربيين المعاصرين يحاولون التفرقة بين المصطلحات التي تعبر من المستويات المختلفة للمكان، واعتبرت أن سر التمييز بين المكان والفضاء يكمن في تعدد المصطلح في اللغات العربية، الانجليزية الفرنسية «وقد اكتفى النقاد الكلاسيكيون في اللغات الثلاث باستخدام كلمة المكان (Lieu/Place) للدلالة على كل أنواع المكان حيث لم يكن معنى الفراغ (الفضاء) بمفهومه الحديث قد نشأ بعد وبينما ضاق الفرنسيون بمحدودية كلمة (Lieu) بدأوا باستخدام كلمة (Espace) (فراغ) لم يرض نقاد الانجليزية عن اتساع (Space/Place) (مكان فراغ) وأضافوا استخدام كلمة (Location) (بقعة) للتعبير عن المكان المحدد لوقوع الحدث»[2].

---

[1] أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية تر خليل أحمد خليل، ط2، منشورات عويدات، بيروت، 2001م، ص 362.

[2] سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة الثلاثية نجيب محفوظ، ط1، دار التنوير، بيروت، 1975م، ص 101.

لذلك تعود الناقدة إلى وصف المكان في الرواية وتضفي عليه مفهوم الفضاء حيث تجعل منه عالما متخيلا تصنعه الكلمات فالروائي عندما يبدأ في بناء عالمه الخاص الذي سوف يضع في إطاره الشخصيات يصنع عالما مكونا من الكلمات وهذه الكلمات تشكل عالما خاصا خياليا قد يشبه عالم الواقع وقد يختلف عنه وإذا شابهه فهذا الشبه شبه خاص يخضع لخصائص الكلمة التصويرية»[1].

وإذا انتقلنا إلى غاستون باشلار" في كتابه الموسوم جماليات المكان» نجده ينطلق من نقطة أساسية هي: أن المكان هو «المكان الأليف، وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة. انه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا. فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة»[2].

فمن خلال هذا التعريف نلاحظ أن غاستون باشلار تجاوز الفكر الفلسفي الكلاسيكي للمكان الذي يركز على أبعاده الهندسية والجغرافية، حينما قد تصوره الفذ في المكانية، وذلك في كتابه «جماليات المكان، إذ يركز على القيم الإنسانية التي يتسم بها المكان اعتمادا على فاعلية الخيال: «فالخيال يتخيل ويغني نفسه دون توقف بالصور الجديدة. وما أود استكشافه هو ثروة الوجود المتخيل»[3].

**2- أنواع المكان :**

لقد شهد المكان على الصعيد الفني ولاسيما الروائي تقسيمات عدة فعلى الصعيد العربي نجد سعود أحمد يونس يقسم المكان إلى ثلاث أنواع هي:

أ. **المكان الواقعي** : وتناول فيه الأمكنة الطبيعية واللأمكنة الاصطناعية، والاتجاهات والمسافات.

---

[1] سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، ص 104

[2] غاستون باشلار ، جماليات المكان ، تر : غالب هلسا ، ط2 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1984م ، ص 6

[3] المرجع نفسه ، ص 31

**ب. أماكن العبور:** وتناول فيه الشواطئ والسواحل والمحيطات وحواجز العبور الاصطناعية والطبيعية ووسائلها.

**ج. المكان التاريخي :** وتناول فيه المكان الأسطوري والمكان الديني والمكان الحضري[1].

أما على الصعيد الغربي فهناك من قسم المكان بحسب السلطة التي تخضع لها هذه الأمكنة كـ: "إلزابيت رومر (rhomer Elisabeth) و أبراهام. أ. مول" (Abraham.a.moles) إلى أربعة **أقسام** :

**أ. المكان (عندي):** وهو المكان الذي يشعر فيه الإنسان بالألفة والاحتواء فهو المكان الذي يمنحه الإحساس بالاستقلالية والحرية.

**ب. عند الأخرين:** ويتميز هذا النوع من الأماكن عن سابقيه في كونه يحد من حرية الفرد، بحيث يصبح هذا الأخير خاضعا لأصحاب السلطة فيه.

**ج. الأماكن العامة:** وهي الأماكن التي تعود ملكيتها للسلطة العامة "الدولة" ويتقاطع هذا النوع من الأمكنة مع النوع السابق في كون الفرد يبقى خاضعا لسلطة الغير، مما سيحد من كذلك من حريته.

**د. المكان اللامتناهي:** ويتمثل في تلك المناطق النائية، والأماكن البكر، الخالية من أي مظاهر حضاري كالصحاري والغابات وتتبلور ميزة هذا النوع من الأماكن في كونها تعيد للفرد إحساسه بالحرية والانطلاق والتجرد من كل القيود[2].

وهناك **أنواع أخرى للمكان** وهي الأكثر تداولا منها :

**2-1- المكان المفتوح (الأماكن العامة) :**

تكتسب الأماكن المفتوحة أهمية بالغة في النصوص المسرحية إذ أنها تساعد على "الإمساك بما هو جوهري فيها، أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها. "[3]

---

[1] نقلا عن : بن عمارة منصورية المكان في الشعر المغربي القديم (من القرن الخامس هجري إلى نهاية القرن السابع الهجري)، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجيستر في الأدب المغربي القديم جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2011م، ص ص 10 - 11

[2] جماعة من الباحثين ، جماليات المكان ، ص 61

[3] حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص 79

فالأماكن المفتوحة أماكن عامة يمتلك كل واحد حق ارتيادها، وتعد فسحة عامة تسمح للناس بالالتقاء والتواصل كما تسمح بالحركة والتفاعل.

إن المكان المفتوح حيز مكاني خارجي لا تحده حدود ضيقة، يشكل فضاء رحبا وغالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق، ويتجسد هذا النوع في المكان الطبيعي خاصة و "هو المكان الذي لم تتدخل يد الإنسان في إقامته وتشكيله، ذلك أنه وجد هكذا منذ الأزل بصورته الخاصة، وخاصياته وخواصه المميزة"[1]. ويتسم هذا المكان بالسعة والامتداد، الارتفاع، الانبساط مثل الأرض، الوديان، الجبال البحار ..."

لكن هذا لا يعني أن الطبيعة وحدها المكان المفتوح بل هناك أماكن أخرى، كالمدن عامة، الوطن، وحتى السماء، فهذا المكان يختلف من شخص إلى آخر.

**2-2- الأماكن المغلقة الأماكن الخاصة :**

هي التي يتنقل فيها الإنسان ويشكلها حسب أفكاره والشكل الهندسي الذي يروقه، ويناسب تطور عصره، وينهض المكان المغلق كنقيض للمكان المفتوح.

وتتمثل في الأماكن التي يرتادها الناس للعبادة كالمسجد والكنيسة" أو لشراء حاجياتهم كالدكاكين والمحلات وهي الأماكن التي تكشف عن أمزجة وأذواق الفرد.[2]

ويمثل المكان المغلق غالبا الحيز الذي يحوي حدود امكانية تعزله عن العالم الخارجي، ويكون محيطه أضيق بكثير بالنسبة للمكان المفتوح: "قد تكون الأماكن الضيقة مرفوضة لأنها صعبة الولوج، وقد تكون مطلوبة لأنها تمثل الملجأ والحماية التي يأوي إليها الناس بعيدا عن صخب الحياة"[3].

بناءً على ما تقدم يمكن القول أن تقسيمات المكان تختلف من باحث إلى أخر كل حسب خلفية النظرية التي اعتمدها إضافة إلى الأنموذج المراد دراسته.

---

[1] سعيد يقطين، قال الراوي، ط1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، 1997م، ص 255.

[2] ينظر: عبد الله الخمار، فن الكتابة وتقنيات الوصف، دل، دار الكتاب العربي، الجزائر، 1998م، ص 340.

[3] جماعة من الباحثين، جماليات المكان، ص 63.

**3- أهمية المكان في النص السردي:**

للمكان أهمية كبيرة في بناء أحداث النص السردي، أيا كان نوعه قصة، رواية، رحلة.... فهو البنية الأساسية من بناياتها الفنية، ذلك أننا لا نتصور أحداثا قصصية، تفتقد إلى مكان تنمو فيه وتتكاثر وتتناسل، لأن المكان يحتوي على الأحداث، ويبنيها ويشعبها ويؤطرها "والفعل الإنساني وإن كان تخيلا محضا، لا يتصور جاريا في غير زمان فإنه لا يتصور في غير مكان أيضا"[1] ومن داخل الفضاء المكائي، تتم عمليات التخيل والاستذكار، فلا يمكننا أن نتخيل بطلاً أو شخصية قصصية تفكر وتتفاعل مع أخرى، وتراقب وتحلل الأوضاع الايديولوجية والاجتماعية، أو تثبت رؤاها إلا من داخل المكان ومن خلاله "ومن ثم انتبه للمكان كوعاء يحتوي الزمن كمركزية يمكن للخيال والذاكرة الانطلاق منها للإمساك بتلك اللحظات الغامضة التي تنتشظى فيها الذات وتتصدع في سعيها لامتلاك الوعي بالعالم والأشياء ومجمل العلاقات الأنطولوجية التي تتشابك في النسيج الجمالي"[2].

وعلى الرغم من أن قيمة المكان تختلف من عمل أدبي إلى آخر إلا أنه يعتبر "أحد العناصر الجوهرية التي تساهم في بناء النص القصصي إذ بدونه تتلاشى العناصر الأخرى و تمحى ضرورته وتأتيه هذه الأهمية القصوى بحكم وظيفته التأطيرية للمساحة التي تقع فيها الأحداث ..."[3]

إن الفضاء المكاني بامتداداته، ومكوناته، يساعدنا على فهم الشخوص التي تقطنه ووضعها الاجتماعي، وتكوينها السياسي والفكري والإيديولوجي، وبالتالي يمكننا من أن نفهم مجمل الأوضاع السياسية والثقافية والاقتصادية كمجتمع من المجتمعات، أو مدينة من المدن... فالإنسان مرتبط بالمكان وهذا المكان له خصوصيته وتاريخه وجماليته أيضا "فالعمل الأدبي حين يفتقد المكانية، فهو يفتقد خصوصيته، وبالتالي أصالته"[4] فالمكان

---

[1] الصادق قسومة طرائق تحليل القصة، دل، دار الجنوب للنشر، تونس، 2000م، ص 56.

[2] معاوية البلال، قراءة في استراتيجية المعنى، المكان في القصة السودانية الحديثة، مجلة نزوى، ع 22 أبريل 2000م.

[3] أحمد زنيير، المكان في العمل الفني، مجلة عمان، أمانة عمان الكبرى، ع 29، آذار 2006م، ص 13.

[4] غاستون باشلار، جماليات المكان، ص 6

وقاطنه جسد واحد، وأي فصل بينهما، يعني إلحاق الخلل بهما " فلا يمكن فصل الحيز المكاني عن قاطنيه وكذلك لا يمكن فصل الحيز الخيالي عن شخصياته المتحركة ضمن مجاله، فعن طريق الحيز نتعرف على خصوصيات المتحيز فيه، فأي فصل بين الكائن والمكان هو من قبيل الافتراض التعسفي، الذي لا يستسيغه العقل ولا المنطق"[1].

ولعل دراسة شعرية الفضاء 1957 لغاستون باشلار (G. Bachlard) هي التي نبهت النقاد والباحثين إلى أهمية المكان في الإبداع الروائي العربي، فكان غالب هلس هو أول الدارسين للمكان، وذلك في كتابه المكان في الرواية العربية. درس فيه التأثير المتبادل بين المكان والسكان. وأظهر أن المكان ليس ساكنا، بل هو قابل للتغير بفعل الزمان.

وقد أكد "هنري متران" على أهمية المكان، عندما جعل الوعي عاملاً فاعلاً ، في الصيغة الشكلية للمكان، حيث يقول: «المكان هو الذي يؤسس الحكي لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظاهر الحقيقة»[2]. أي أن المكان يؤثر في الشخصية ويقوم بحفزها إلى إيجاد الأحداث.

أخيرا يمكن القول أن المكان يساهم بشكل أو بأخر في إعطاء نظرة شاملة للأعمال الأدبية، فلا يمكن بأي حال من الأحوال تصور السرد دون مكان أو الأدب خارج علاقته بالمكان.

**4- علاقة المكان بعناصر السرد القصصي (الشخصية، الحدث، الزمن، اللغة).**

على الرغم من أن الاهتمام بالمكان قديم إلا أن الدراسات المتخصصة بالبحث في مفهوماته حديثة، بدأت مع تأليف "غاستون باشلار" من خلال كتابه الموسوم بـ: «جماليات المكان»[3].

---

[1] لحسن كرومي جماليات المكان في الرواية المغاربية، بحث قدم لنيل شهادة دكتوراه، جامعة وهران، 2005- 2006م، ص7.

[2] حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 65.

[3] ينظر: غاستون باشلار جماليات المكان تر غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، - 1984

فالمكان لا يعيش بمعزل عن باقي عناصر السرد، حيث لا يمكن تصور مكان بمعزل عن الشخصيات الأحداث الزمن اللغة، فهذه العناصر مجتمعة هي ما يمنح المكان معنى ودلالة ودونها يظل وعاء فارغا من كل إيحاء.

**أ. علاقة المكان بالشخصية :**

تتجلى أهمية الشخصية في العمل السردي سواءً كان رواية أو قصة أو مسرحية أو رحلة... الخ من خلال ربطها بالمكان وتفاعلها فيه، فالمكان يمنح الشخصيات هويتها، ولذلك فهناك ارتباط لصيق وعضوي ما بين الشخصية والمكان، فهو محدد لسلوك الشخصيات واتجاهاتها وحركتها.

ويعد المكان الذي يقطنه الشخص ويتحرك ضمنه ويتفاعل معه مرآة تعكس طباعه «وهو يعكس حقيقة الشخصية، وإن حياة الشخصية تفسرها طبيعة المكان التي يرتبط بها»[1].

إن علاقة الإنسان بالمكان تتصف بالتلازم والحميمية ذلك لأن إدراك الإنسان للمكان هو إدراك حسي مباشر مباشر، لأنه مرتبط به طول حياته " كما أن إحساس الإنسان بالمكان هو إحساسه بذاته فالذات لا تكتمل داخل حدود ذاتها بل تستنبط خارج الحدود في مكان يمكن أن يتفاعل فيه"[2].

فلا يمكن بذلك فصل الإنسان عن المكان أو المكان عن الإنسان لأنهما يكملان بعضهما البعض ويعبران عن هويتهما كأنهما يشكلان نواة واحدة؛ فالمكان هو الحيز الذي يحتضن عمليات التفاعل بين الأنا والعالم من خلاله نتكلم وعبره نرى العالم ونحكم على الأخر.

وإذا كان المكان يتخذ دلالته التاريخية والسياسية والاجتماعية من خلال الأفعال وتشابك العلاقات، فإنه يتخذ قيمته الكبرى من خلال علاقته بالشخصية»[3]. وتظهر هذه القيمة في أعلى درجاتها حين يكون المكان جزءا من بناء الشخصية لأن الذات البشرية لا

---

[1] سيزا قاسم، بناء الرواية، ص ص 114-115.

[2] نبيلة ابرهيم ، فن القصة ، في النظرية والتطبيق ، د،ط ، دار القباء ، د،ت ، ص ص 139 - 140

[3] يوري لوتمان ، مشكلة المكان الفني ، تر : سيزا قاسم ، مجلة البلاغة المقارنة ، ع 6 ، 1986م، القاهرة ، ص 63

تكتمل داخل حدود ذاتها، ولكنها تنبسط خارج هذه الحدود لتصنع كل ما حولها بصفتها وتسقط على المكان قيمتها الحضارية»[1].

**ب – علاقة المكان بالحدث :**

يعتبر الحدث العنصر الرئيسي في أي نص سردي مهما كان نوعه؛ فهو اللبنة الأولى والركيزة الأساس التي تتمحور حولها بقية العناصر السردية الأخرى، ويرتبط به ارتباطا وثيقا، فالحدث هو الموضوع الذي تدور حوله القصة، إذ يعمد عليه السارد في تنمية المواقف وتحريك الشخصيات، لذلك لابد لجريان هذا الحدث من توفر بيئة مكانية.

إن المكان يمتلك تأثيرا على الحدث من خلال الشخصية، إذ نرى أن وقوع بعض الأحداث يكون أنسب في أمكنة دون أخرى، وذلك لما يوفره المكان من جو ملائم للحدث، لأن كل حدث يقتضي مكان خاصا به في نظر الشخصية. وبالرغم من تأثير الحدث على المكان إلا أن المكان يضل هو الذي يحرك الأحداث وتتوالد من خلاله المشاهد والمواقف، وبالرغم من تعدد شخصياته . في الرواية، مما يسمح له باحتواء دلالات نفسية واجتماعية»[2].

وبما أن المكان يشكل أرضية الحدث، فإنه شاهد على كل حدث يجري فيه، حيث نجد أن هذا الأخير يفرض بعض التنقلات في الأمكنة وهذه الأمكنة وتنوعها تنوع الحدث وتحركه، وبذلك يصعب علينا إيجاد نص سردي، تجري أحداثه في مكان واحد.

فعند استعراضنا مثلا لأحداث رحلة ابن حمادوش، نجد أنها تتنوع في أماكن متعددة: مكناس، وتطوان، فاس... وبالتالي فإن تنوع الأمكنة وتعددها، تنوع الأحداث وتحرك الرحلة.

---

[1] بدري عثمان ، بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ ، ط1 ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، 1986 ، ص 95

[2] أحمد عوين ، ابعاد المكان الفنية في عصافير الليل لابراهيم أصلان ن دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر ، 2004م، ص 62 نقلا عن سعدية بن يحيى ، دلالة المكان في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير ، جامعة الجزائر ، 2007 – 2008م

إن الحدث في الرحلة يختلف بكثير عن الحدث في الرواية لأن هذا الأخير مصطنع من عند المؤلف الكاتب والأول واقعي حقيقي، لذا يجب أن يكون محتويا في الحدث يصفه ويعبر عنه ويتماشى مع أحداثه بصفة متلازمة وسرد الأحداث بحذافيرها، وبما تحمله من تحقيق وتدقيق.

فالأحداث التي يعالجها ابن حمادوش" في رحلته تعتبر جزءا من التاريخ والواقع الكائن في زمنه، فيعتبر ارتباط ابن حمادوش بأحداثه وامتثاله للحياة الاجتماعية وتصويرها لنا بكفاءة ودقة من خلال إلمامه لعادات وتقاليد الجزائر والمغرب... ومن أمثلة ذلك ذكره لبعض عادات أهل فاس: "ثم أن البلاد فرحت كلها وتزينت يوم الخميس، إلا أن زينتهم بثياب ملبوس النساء، يعلقون القفاطين والمحارم وغيرها من خروم حرير وما بيسر، بخلاف زينة بلادنا"[1]. وهذا ما يجعل الحدث في الرحلة أكثر ثراء من حيث تعدد الموضوعات والأحداث.

إن المكان يدخل في علاقة مباشرة مع الحدث، فهو عنصر من العناصر المكونة للحدث، بل إن مجرد الإشارة إلى المكان تجعلنا ننتظر قيام الحدث[2].

أخيرا يمكن القول أنه عندما لا يوجد حدث لا يوجد مكان، فالمكان يؤطر الأحداث، والأحداث ذات صلة وثيقة بالمكان وفضاءات الشخصيات والأحداث ضمن المكان يعطيها البعد والدلالة.

إذن فالعلاقة بين الاثنين هي علاقة تلازم في جميع الأعمال السردية التي تتطلب الحكي.

**ج. علاقة المكان بالزمن :**

للزمن حضور مكثف في الأعمال الأدبية عموما وفي النصوص الرحلية خصوصا، إذ لا حكي بدون الزمن، لأنه يرتبط حتما بالحدث وبالشخصية، وعلى الأخص بالمكان.

---

[1] عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله ، درط المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983م، ص94.

[2] ينظر: حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص30

لذلك نجد أن الزمان قد شغل فكر الإنسان منذ أن وعى بكينونته وبقدر ما يشغله المكان يشغله كذلك الزمن، فأولوه الفنانون والأنباء وحتى الرحالون أهمية كبيرة، واقتنعوا أن إدراك ذواتهم لا يتم إلا في الزمان والمكان على أساس "أن المكان والزمان توأمان لا ينفصلان فهما المشكلان للعقل البشري بكل تفاصيلهما وحقائقهما وتوالدهما"[1].

إن الحديث عن الزمن والمكان في بنية السرد يقتضي التأكيد دوما على العلاقة التي تربط بينهما، كما أن دراسة كل منهما منفردًا لا يعني أن تستغني عن دراستهما بوصفهما عنصرين فاعلين مؤثرين في العناصر السردية الأخرى وخاضعين بدورهما للتأثير. فهما عنصران متلازمان لا يفترقان إذ لا يمكن أن تتحسس اللحظة الزمانية دون مكان تفعيلها.

كما أن اصطلاح "الزمكان" الذي تمت ترجمته إلى العربية عن ميخائيل باختين يدل دلالة واضحة على "العلاقة الجوهرية المتبادلة بين الزمان والمكان المستوعبة في الأدب استيعابا فنيا"[2]. وهي ما يطلق عليها "ميخائيل باختين" اسم "الكرونوتوب"[3] أي تعالق الزمان والمكان.

**د. علاقة المكان باللغة :**

إن علاقة المكان باللغة علاقة متينة؛ فهي التي تُعرف بمعالمه، وثبت فيه الحياة، و«غير اللغة يستحيل المكان إلى صورة أو شيء مرئي يحتاج كمن يرسمه بالألوان والخطوط، لكن اللغة بما لها من قدرة على الإيحاء والتعبير عن الإحساس، تستطيع أن تقدم المكان في صور يتحد فيها الزمن بالحدث... بالرؤية الذاتية سواء كانت رؤية الكاتب أم الراوي»[4].

---

[1] حسن عليان تداخل الأجناس الأدبية، الرواية والسيرة، سيرة مدينة وشعب دار مجانوي للنشر والتوزيع، الأردن 2012،2013م، ص224. نقاذ عن بالقاسم بالحارث، جماليات المكان في رحلة الحج إلى بيت الله الحرام للحاج ناصر الدين ديني والحاج سليمان بن إبراهيم مذكرة معدة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة العقيد أكلي محند أولحاج، البويرة، 2013،2014م، ص108.

[2] مخائيل باختين، أشكال المكان والزمان في الرواية، تر يوسف حلاق، د.ط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990م، ص 5.

[3] ترفيطان تودوروف باختين ومبدأ الحواري تر صالح فخري، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1996م، ص 172.

[4] إبراهيم خليل ، بنية النص الروائي ، ط1 ،الدار العربية للعلوم ناشرون (منشورات الاختلاف الجزائر) ، بيروت ، لبنان ، 2010م ، ص 164

ومن هنا تتبدى سردية المكان؛ لأنه بنية مهمة من بنياته الفنية المتعددة، وهو بحاجة لمن يرسم معالمه الباهتة، والسارد هو الذي يقوم بهذا الفعل من خلال وصفه ورسم جمالياته بدقة.

إن المكان يتشكل من خلال اللغة الواصفة الجزئياته وتفاصيله، والتي تكشف عن بعض جمالياته. ولا يتشكل الحوار إلا في صلبه لدى تبدو علاقتهما أكثر متانة، ويؤثر المكان في نحو الحوار وتطوره ويشكل المكان فضاء تتفاعل فيه عناصر الرواية، وتجمع اللغة الحوارية تلك العناصر، "ويصطلح الحوار بوظيفة الكشف عن الأماكن المرئية وغير المرئية، فبواسطته يظهر المكان ويظهر تأثيره في الشخصيات"[1].

وغالبا ما يعتمد المؤلف إخفاء العديد من العناصر المكانية، فتتجلى من خلال الكلام بين المتحاورين، ومن هذا المنطلق يصبح من وظائف الحوار والسرد الكشف عن جمالية المكان وتحديد بعض ملامحه وحدوده بدقة، وتتحقق هذه الوظيفة من خلال الوصف، حيث يقوم السارد بوصف بعض الأماكن أو الشخصيات التي وقع فيها الحدث الروائي، ويشمل الوصف الأشخاص وصفاتهم وطبائعهم.

**ثانيا: أدب الرحلة المفهوم النشأة، الخصائص الفنية، والأنواع.**

إن وجود الإنسان على هذه الأرض، يفرض عليه أن يكون دائم الحركة، كثير التنقل، وإن لاقى في ذلك الجهد والعناء، وكابد الآلام والشقاء، فتلك طبيعة حياة البشر ومتطلبات الحياة، والرحلة في أبسط مفهوم لها هي قطع مسافة معينة بين نقطتين في فترة زمنية محددة، وهذا ما يؤكد عليه كثير من المهتمين بدراسة الرحلات أي أن يكون لها نقطة انطلاق معلومة (من) ونقطة وصول محددة (إلى).

ومن المعلوم أن الرحالة عند قطعه هذه المسافة لابد أن تتخلله مناظر مختلفة وأحداث متنوعة، يلتقي فيها بنماذج من البشر، تختلف عاداتهم وتقاليدهم وقد تتباين لغاتهم وثقافتهم،

[1] قيس عمر محمد ، البنية الحوارية في النص المسرحي ، ناهض الرمضاني أنموذج ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن ، 2012م ، ط1 ، ص 96

بتواصل معهم، يأخذون عنه تارة فيؤثر فيهم، ويأخذ عنهم تارة أخرى فيتأثر بهم، وبذلك تتسع ثقافته، وتتدعم ،تجاربه، فالرحالة وهو ينتقل من مكان إلى أخر أثناء رحلته، يهتم في نفس الوقت يتسجيل ملاحظاته عن مظاهر مختلفة في الحياة، يشاهدها عيانا أو يسمعها من الآخرين وعليه فإن للرحلة فوائد متعددة، تساعد الرحالة في بناء شخصيته وتدعيم تجاربه، وتوسيع خبراته في الحياة.

**1- مفهوم الرحلة :**

لقد اختلف الدارسون في تعريف الرحلة وذهبوا في ذلك مذاهب شتى، كل نظر إليها من زاوية نظر محددة أي من خلال حقله الدراسي فالمؤرخ ركز على ماله صلة بالجانب التاريخي فيها، أما الجغرافي لم ير فيها إلا ما له علاقة بعلم الجغرافيا، بينما نظر إليها دارسوا الأدب ونقاده نظرة فنية وأدبية من خلال ما تحمله من نصوص شعرية ونثرية، فاختلفت بذلك وجهات نظرهم، وتعددت تعريفاتهم لها، إلا أن بنيتها الأساسية بنية السفر – بقيت القاسم المشترك بينهم لكن لتوضيح الرؤيا أكثر علينا أن نحاول الإلمام بمفهوم الرحلة من جوانب عدة، في مقدمتها: ما المقصود بالرحلة لغويا؟ وما المعاني والمقاصد التي وردت فيها في المعاجم العربية ثم نذهب إلى مفهومها اصطلاحيا.

**أ. الرحلة لغة:**

لقد حظيت مادة حل بشرح واف في العديد من المعاجم العربية فقد جاء في لسان العرب الابن منظور ما يلي: «الترحل والارتحال : الانتقال وهو الرّحْلة والرحلة، والرحلة : اسم للارتحال ورحل فلان وارتحل وتزحل... وقال بعضهم: الرحلة الارتحال، والرحلة، بالضم، للمسير. الوجه الذي تأخذ فيه وتريده.»[1]

نفهم من هذا التعريف اللغوي أن لفظة الرحلة، أخذت منحى دالا على السير والتنقل وقال "الفيروز أبادي" في "القاموس المحيط: «ارْتَحَلَ البَعيرُ : ساز ومضى، والقومُ عن

[1] ابن منظور ، لسان العرب (مادة رحل) ن ج5 ، ص 166

المكان: انْتَقَلُو، ،وا، والاسمُ الرُّحْلَةُ ، بالضم والكسر ، أو بالكسر : الأرتحال، وبالضم: الوجه الذي تَقْصِدُهُ، كَثر حلُوا والسفرة الواحدة»[1].

من خلال ما ذكرناه آنفا في معنى الرحلة، وجدنا أن الرحلة جاءت بمعنى السير والانتقال والوجهة أو المقصد الذي يراد السفر إليه.

أما فيما يخص المعاجم الأخرى فتكاد تكرر المعاني نفسها.

**ب. الرحلة في القرآن الكريم :**

وردت لفظة رحلة في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة قريش" في قوله جلا وعلا: ﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾[2] في هذه السورة ارتبطت الرحلة بالتجارة، والتي كان يقوم بها أهل مكة صيفا إلى اليمن وشتاء إلى الشام.

أما المفردات الواردة في القرآن الكريم على الحركة والانتقال فهي كثيرة ومتعددة نذكر منها:

منها ما وردت بمعنى السير كقوله تعالى: ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾[3] والملاحظ في الآية أن الدعوة للسير في الأرض والانتقال فيها، جاءت مقرونة بالبحث ولو بالتلميح – على توظيف العقل من خلال ضرورة الاعتماد على النظر والتدير في أمور وأموال وعواقب الأمم السابقة للاستفادة وأخذ العبرة.

كما وردت أيضا بمعنى الضرب والسفر كقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا**﴾[4] وقوله أيضا: ﴿**وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾[5] وغيرها من المفردات الواردة كالهجرة، الحج... إلخ.

---

[1] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، القاموس المحيط (مادة رحل) ، ص 1005

[2] سورة قريش ، الآية : 1 – 4

[3] سورة الانعام ، الآية : 11

[4] سورة النساء ، الآية : 101

[5] سورة البقرة ، الآية : 185

**ج. الرحلة اصطلاحا:**

لقد تعددت مفاهيم الرحلة في الاصطلاح إلا أنها تصب كلها في قالب واحد، فقد عرفها بطرس البستاني بأنها : "انتقال واحد أو جماعة من مكان إلى مكان أخر كمقاصد مختلفة وأسباب متعددة"[1]. معنى ذلك ان الرحلة لا تكون من دون غرض معين، وإنما تكون دائما لها دافع معين.

أما الامام الغزالي فيعرفها :" بأنها نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة"[2].

من خلال هذا القول نستنتج أن الرحلة عبارة عن احتكاك بالأخر إضافة إلى الجهد والتعب الناتجان عن الانتقال.

في حين يعرفها صلاح الدين الشامي" بقوله: «إنجازا أو فعلا أو مباشرة كما يعنيه، أو يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة، أو إسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه، والمكان الذي تنتهي إليه.»[3]

من خلال تحديدنا مفهوم الرحلة في اللغة وفي الاصطلاح تبين لنا أن المفهومين لا يبتعدان كثيرا، فهما يشتركان في معنى واحد وهو الحركة، وهذه الحركة يحقق منها الإنسان فوائد عدة.

بعد أن حددنا مفهوم الرحلة في الاستعمال اللغوي والاصطلاحي سنحاول تحديد مفهوم أدب الرحلة باعتباره فنا من فنون النثر، وعلى الرغم من تعدد المفاهيم، والتي تختلف من دارس إلى أخر إلا أنها في النهاية تصب في قالب واحد.

---

[1] بطرس البستاني، دائرة المعارف، دط، مطبعة المعارف، بيروت، 1854م، مج 8، ص 564.

[2] أبي حامد أحمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م، ج2، ص 273.

[3] صلاح الدين علي الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م، ص 11

جاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب أن أدب الرحلة هو: «مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد.»[1]

نستنتج أن أدب الرحلة حسب تحديد مجدي وهبة هو تلك المؤلفات التي تتحدث عن مغامرات واقعية قام بها الرحالة، وتعرف من خلالها على أحوال البلاد التي زارها وعادات أهلها وسلوكهم، والتي تركت في نفسه انطباعات عدة، ذلك أن الرحالة وهو يجوب مختلف الأقاليم بتأثر بما يلاحظه ويسمعه من مظاهر مختلفة.

أما ناصر موافي فيعرفه بأنه: «ذلك النشر الذي يصفه رحلة ورحلات واقعية، قام بها رحال متميز موازنا بين الذات والموضوع من خلال مضمون وشكل مرنين، بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه.»[2]

من خلال هذه التعريفات يمكن القول أن أدب الرحلة فن نثري يقوم على رحلة قام بها شخص في الواقع، فينقل للقارئ مشاهداته وانطباعاته التي تركتها الرحلة.

**2- نشأة أدب الرحلة وتطوره:**

عرف العرب الرحلة منذ الجاهلية نتيجة لطبيعة الحياة البدوية القائمة على التنقل والترحال، بحثا عن الماء والكلأ من جهة، والتجارة والصيد من جهة أخرى. وخير مثال على ذلك المقدمة الطللية لقصيدة زهير والتي تحمل عنوان "أمن أم أوفى دمنة لم تكلم"[3] فهي صورة واضحة وحية للرحلة في شعر الشعراء الجاهليين، لأنها تصف رحلة طويلة في الوديان والجبال والسهول بصورة حية، فبمجرد قراءتها يشعر القارئ وكأنه قام بها.

---

[1] مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص 17.

[2] ناصر عبد الرزاق الموافي الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ط1، دار النشر، الجامعات المصرية + مكتبة الوفاء للطباعة والتوزيع، القاهرة، 1995م، ص 41

[3] ينظر: زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص 102- 105.

لقد سجلت الرحلة انتشارا واسعا عند العرب منذ القديم "بلونيها : رحلة الطعائن والرحلة على الناقة (...) كانتشار القبائل في تلك الصحراء أو انتشار الآل والطلول ومواطن النجعة، فطبيعة المجتمع البدوي القائمة على النقلة والرعي وحماية مواطن الغيث وما يتصل بذلك من حروب تقطع وشائع الدم والحلف والحب جعلت من الجاهلي إنسانا عالقا بالأرض في شؤون حياته جميعا"[1].

إلا أن هذه الرحلات لا تتخذ شكل أدب الرحلة، وإنما كانت أحد العناصر الأساسية في بناء القصيدة الجاهلية المقدمة الطللية، وصف الرحلة، المدح وهو الموضوع الأساسي غالبا لكن بعد عصر الإسلام اتخذت الرحلة طابعا أخر، إذ " صارت فنا عربيا أصيلا في النثر العربي بسماته التاريخية والجغرافية واهتمامه بحياة الناس وتقاليدهم وأنماط عيشهم، وبمضمونه الفكري والاجتماعي، وأسلوبه الأدبي المتميز"[2].

فإذا تتبعنا مسار أدب الرحلة في الأدب العربي نجده قد مر بمرحلتين أساسيتين هما:

أ. **المرحلة الأولى:** تمتد . د من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثامن الهجري.

إن أقدم رحلة مدونة في كتب الرحلة في هذا القرن الثالث للهجرة- رحلة سلام الترجمان، التي قام بها بتكليف من الواثق* إلى بحر قزوين ليشاهد سد يأجوج ومأجوج، وبدأت رحلته عام 227 هـ وقد وصل إلى السد وتفاصيل رحلته موجودة في "المسالك والممالك لابن خرداذبة".

وقد شهد هذا القرن رحالين آخرين نذكر منهم سليمان التاجر الذي يعد رائد أدب الرحلات البحرية، اليعقوبي، ابن خردادية... وغيرهم.

أما إذا انتقلنا إلى القرن الرابع الهجري فإنه شهد ظهور رحالة كبار من أهمهم المسعودي، الذي ألف "مروج الذهب ومعادن الجوهر" يقول في سبب تأليفه لهذا الكتاب: "

---

[1] وهب رومية، الرحلة في القصيدة الجاهلية، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979م، ص ص 19- 20.

[2] عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، تط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بن عكنون، 1995م، ص 11

* الواثق بالله : هو أبو جعفر هارون بن المعتصم بويع بالخلافة عام 227 بعد موت أبيه، وتوفي سنة 232م، في عمر يناهز ست وثلاثون سنة ( لب التاريخ، محمد غنيم، ص94).

فإنا صنفنا كتابنا في أخبار الزمان، وقدمنا القول فيه في هيئة الأرض، ومدنها وعجائبها، وبحارها، وأغوارها، وجبالها، وأنهارها، وبدائع معادنها، وأصناف مناهلها، وأخبار عياضها، وجزائر البحار، والبحيرات الصغار، وأخبار الأبنية المعظمة، والمساكن المشرفة، وذكر شأن المبدأ، وأصل النسل، وتباين الأوطان،..."[1] وقد كان اهتمام المسعودي بالرحلة اهتماما بالغا كونه أدرك أهميتها.

وغير ذلك من الرحلات التي اشتهرت في القرن الرابع الهجري نذكر منها: رحلة قدامة بن جعفر، وابن حوقل... وغيرهم ولكل هؤلاء طريقة وأسلوب ونتاج مستقل في رحلاتهم.

أما البيروني فإنه يمثل نقطة التقاطع بين القرنين الرابع والخامس الهجريين من خلال كتابه "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"[2] وعلى الرغم من جغرافية هذا الكتاب إلا أنه لا يمكن اعتباره كتابا جغرافيا، بالمعنى الضيق للفظ (...) فالمكانة الأولى عنده تحتلها الحضارة الروحية للهند، وقليل من فصوله الثمانين يمس موضوعات جغرافية بحتة"[3].

فهو ليس كتابا في الرحلات أو الجغرافيا فحسب، وإنما يتضمن أيضا آراء في الدين والفلسفة والتاريخ. ومن الرحالة الآخرين في هذا القرن ابن بطلان كان يرتحل من بلد إلى بلد ومن منطقة إلى منطقة طلبا للعلم والمعارف وسعيا لاكتشاف الجديد في الفكر والطلب، وغيره من الرحالة (...)

**ب- المرحلة الثانية:** تمتد من القرن التاسع الهجري إلى بداية النهضة العربية.

لقد عاش العرب فترة ظلام دامس على جميع الأصعدة السياسية والإجتماعية والإقتصادية، ولاسيما العلمية في القرنين التاسع والعاشر الهجريين (15م (16م) الأمر الذي جعل هذه الفترة عقيمة وراكدة من حيث الرحلات. وقد ذكر فؤاد قنديل عدة أسباب لقلة عدد الرحلات في هذه الفترة منها: تعدد المشكلات السياسية والإقتصادية التي لحقت بالعالم

---

[1] المسعودي أبو الحسن ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، د،ط ، موفم للنشر ، الجزائر ، رغاية ، 1989 ، ج1 ، ص 3

[2] ينظر : البيروني ، أبو الرحيان محمد بن أحمد ، تحقيق مالهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، د،ط ،دائرة المعارف العثمانية ، 1985م

[3] أغناطسوش يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، تر : صلاح الدين عثمان هاشم ، ط2 ، دار الغرب ، الإسلامي ، بيروت ، 1987م ، ص 297

العربي، هذا إلى جانب التراجع الثقافي والحضاري للفرد العربي. كما أن العديد من الدول العربية عانت في تلك الفترة من المشكلات الداخلية وأهمها التفاوت على السلطة في الوقت الذي شهدت فيه هذه الفترة العديد من الكشوفات الجغرافية الغربية، إذ تم اكتشاف العالم الجديد في الأمريكيتين وبداية الصعود الحضاري الأوروبي.[1]

لكن سرعان ما عادت الرحلات العربية إلى النشاط شيئا فشيئا خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري (17م- 18م) حيث شهد القرن الحادي عشر الهجري (17م) بعض الرحلات نذكر منها ومن المغرب العربي تحديدا رحلة العياش المسماة بـ "ماء الموائد" والمعروفة بالرحلة العياشية، وهي رحلة حجازية.

ومن رحلات القرن 17م كذلك تذكر رحلة "أحمد المغرب التلمساني"، وهي رحلة غير مطبوعة (مخطوط) تحمل عنوان رحلة في المشرق والمغرب"[2] أما إذا انتقلنا إلى القرن 12هـ (18م) نجد أن نشاط الرحلة أخذ في البروز أكثر ، ومن رحلات القرن الثامن عشر الميلادي تذكر رحلة ابن عمار المعروفة بـ نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب". وقد جعل الرحلة في ثلاثة أقسام مقدمة، عرض (الرحلة)، الخاتمة.

بالإضافة إلى رحلة الورتلاني، والتي تحمل عنوان نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"[3]. إذ تعد موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الإسلامي في هذا القرن. ونختم هذا ، القرن برحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة بـ لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال" فقد كانت لغرض العلم من جهة، وللتجارة من جهة أخرى، والرحلة في أجزاء إلا أن الجزء الأول منها ضاع، كما قد تكون هناك أجزاء تلت الجزء الثاني وقد ضاعت كذلك.

---

[1] ينظر: فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ط2، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2002م، ص 81.

[2] ينظر: سميرة انساعد، صورة المشرق العربي من خلال رحلات الجزائريين في العصر العثماني، مجلة التراث العربي: مجلة فصيلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع ،97، السنة 24 آذار 2005م، ص 107 وما بعدها.

[3] ينظر: الورتلاني سيدي الحسين بن محمد، الرحلة الورتيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ط1، تقديم محمد بن أبي شنب مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج1، 2008م.

**3- أنواع الرحلات:**

يقسم المهتمون بأدب الرحلة الرحلات إلى أقسام أو أنواع تختلف باختلاف هذه الأخيرة، وقد اختلف الدارسون في تصنيفها. فصلاح الدين الشامي يحصرها في ستة أنواع وهي: رحلة التجارة، رحلة الحرب، رحلة السفارة. وهذه الرحلات الثلاث ظهرت قبل الإسلام. أما الرحلات الثلاث الأخرى التي ظهرت بمجيء الإسلام وأضيفت إلى قائمة الرحلات فهي: رحلة الحج، رحلة طلب العلم، ورحلة التجوال والطواف.[1]

أما محمد الفاسي فقد جعلها خمس عشر نوعا. ولكن هناك تداخلا بينها كالرحلة الدراسية والرحلة العلمية، وكذلك بين الرحلة الرسمية والسفارية و ... وهذه الأنواع هي: الرحلة الحجازية، الرحلة السياحية، الرحلة الرسمية، الرحلة الدراسية الرحلة الأثرية، الرحلة الاستكشافية، الرحلة الزيارية الرحلة العلمية الرحلة المقامية الرحلة الدليلية الرحلة الخيالية، الرحلة الفهرسية، الرحلة العامة والرحلة السفارية.[2]

أما نحن فسوف نركز على أكثر الأنواع شيوعا.

**أ. الرحلة الحجية:**

الرحلة الحجية أو الحجازية أو الدينية، كما يحلو للبعض تسميتها، هي تلك الرحلة التي يتجه من خلالها صاحبها إلى البقاع المقدسة بنية أداء فريضة الحج، إنها رحلة تشد فيها الرحال إلى مكة المكرمة من أجل إتمام الركن الخامس من أركان الدين، وهي ليست كغيرها من الرحلات باعتبارها ذات علاقة بعقيدة الإنسان ودينة، وهي رحلة مفروضة على كل قادر

[1] ينظر : صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، ص 114 وما بعدها.

[2] ينظر: محمد بن عثمان المكناسي، الإكبر في فكاك الأسير، تح محمد الفاسي دطه المركز الجامعي للبحث العلمي، المغرب، د ت ص خز (المقدمة).

عليها من المسلمين، فالحج لمن استطاع إليه سبيلا لقوله تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً»[1].

**ب. الرحلة الحركة (الرسمية) :**

هي الرحلة التي تتخذ الطابع الرسمي مما يجعلها ذات أهداف ودوافع سياسية بحتة، وعادة ما يشبهها الدارسون بالغزوة أو المسيرة العسكرية، يقوم بها الحاكم ضد المارقين عن القانون أو المتمردين على السلطة المركزية، يتجه نحوهم بجيوشه ليفرض القانون أو ليعيدهم إلى سلطته، ولعل هذا يعتبر المؤشر الأساسي الذي يعطيها شرعية التسمية بالرحلة مادام الأمر فيها يتعلق فيها بالحركة والانتقال في الإطار الزماني والفضاء المكاني الذي يكون دون شك على أطراف الدولة وليس في عاصمتها.

لقد كانت الرحلة الحركة قبل القرن السادس عشر الميلادي تطلق على الأعمال الجهادية خارج حدود السلطة، أما بعد ذلك فإن الرحلة الحركة "أصبحت تعني تلك العمليات الداخلية التي تنظمها السلطة المركزية لإثبات سيادتها على جهة ما من البلاد، ارتباطا بجدلية المركز الخاضع دوما لسيطرة الدولة، والهامش المتمرد لبعده عن أعين السلطان، وقد ارتبط بهذا التقليد مرافقة السلطان بالإضافة إلى الجيش، كتابه الذين يضطلعون بمهمة تسجيل هذه الحركة"[2].

إن هذا النوع من الرحلات يعتمد بالدرجة الأولى على خريطة التضاريس، ولا ينجز إلا بعد التخطيط والتحضير، وتهيئة جميع شروط النجاح، ما يعني أنها تشترك مع غيرها من الرحلات من حيث قيامها على القصدية، والقصدية أمرا حتميا بالنسبة للرحلة.

**ج. الرحلة الجهادية:**

[1] سورة آل عمران، الآية: 97.

[2] ينظر : أحمد يوغلا الرحلة الأندلسية، الأنواع والخصائص، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2008م، ص 205

هي رحلة ذات طابع رسمي باعتبار أن اتخاذ القرار بشأنها يكون إلا من سلطة عليا، وتحركها لن يكون وفق خطة محددة ومدروسة وتحت إشراف سلطة رسمية، وتتخذ هذه الرحلة صفة الجهادية من كونها تتجه نحو عدو كافر، مناقض للمعتقد والدين يكون قد اعتدى على ثغر من ثغور المسلمين، أو وقف في وجه نشر الإسلام وهو الدين الذي ارتضاه الله للناس دينا، والأكيد أن هذه التسمية هي تسمية إسلامية بامتياز جاءت مقابلة كما كان يسمى من قبل بالرحلة الحربية.

إن صفة الجهادية التي يعرف بها هذا النوع من الرحلات تضفي عليها عند المسلمين صفة القدسية من منطلق أنها ترتبط بعقيدة المسلم، وبأسمى ما يصبو إليه في الحياة الأخرى بعد رحلة الحياة الدنيا، فالله تعالى قال في محكم تنزيله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[1]

وتتميز الرحلة الجهادية بطابعها العسكري، الذي يفرض سلطانه عليها وعلى جميع مكوناتها، من البداية إلى النهاية سواء تعلق الأمر بلغتها، أو وصف شخصيتها، أو في الحديث عن العدة والعتاد فيها، أو حتى في الشروح والتفاصيل التي نجدها في ثنايا صفحاتها، وبين مختلف أحداثها ومحطاتها.

وتعد الرحلة "القمرية لابن زرقة"[2] خير نموذج على الرحلات الجهادية، فهي مبنية على ركيزة أساسية هي الجهاد في سبيل الله، وفي سبيل تحرير جزء من الوطن (استرجاع وهران من يد الإسبان).

**د. الرحلة العلمية:**

[1] سورة الصف ، الآية : 10 – 12

[2] ينظر: مختار حساني، تاريخ تحرير مدينة وهران، د حل الرحلة القمرية لابن زرقة، تحقيق محتار حساني، جامعة الجزائر، مخبر المخطوطات، ج 2، 2003م.

المقصود بالرحلة العلمية، أو على الأصح الرحلة في طلب العلم، تلك الرحلة التي يقوم بها صاحبها بغية طلب العلم وملاقاة العلماء والفقهاء، ومحاورتهم والاستفادة منهم، ويصف فيها الحياة العلمية بصفة خاصة لأن " الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما، وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها (...) فالرحلة في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[1].

ومثل هذا النوع من الرحلات يتقاطع مع غيره من أنواع الرحلات الأخرى، خاصة الحجية والتجارية منها، وهي الرحلات التي كثيرا ما يترصد الرحالة فيها العلم والمعرفة في كل محطة يحل بها من محطاتها من خلال الجلوس إلى الشيوخ المدرسين، ومقابلة العلماء أو التعامل معهم، رغبة في تنقيح العلوم وتصحيح المفاهيم.

[1] ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد، مقدمة ابن خلدون تح درويش جويدي، ط2، المكتبة العصرية، بيروت، 2000م، ج1، 539 – 540

# الحبك المكاني في رحلة الوزير في افتكاك الأسير

**أولا: التعريف برحلة الوزير في افتكاك الأسير**

1- الجانب الشكلي للكتاب

2- محتوى الكتاب

**ثانيا: مضمون الكتاب**

**ثالثا: أنواع المكان في رحلة الوزير افتكاك الأسير**

1- المكان الأصلي: (المغرب مدينة المنطلق)

2- المكان الآخر

3- مكان الهدف

**رابعا: الأمكنة المغلقة والأمكنة المفتوحة**

1- الأماكن المغلقة

2- الأماكن المفتوحة

بعد ما تطرقنا في الفصل النظري إلى بعض المصطلحات والمفاهيم التي وضحت لنا الصورة العامة للمكان وكذلك الرحلة، حيث تعرفنا في الفصل الأول على مفهوم المكان، أنواع المكان، أهميته، وعلاقاته بعناصر السرد القصصي، ثم انتقلنا إلى أدب الرحلة، نشأته وتطوره والخصائص الفنية للرحلة وأنواعها، الآن سوف نتطرق في هذا الفصل إلى دراسة المكان في رحلة الوزير في افتكاك الأسير لمحمد الغساني الأندلسي وذلك بتحليل مجموعة الأمكنة الواردة في الرحلة.

**أولا: التعريف برحلة الوزير في افتكاك الأسير.**

**1- الجانب الشكلي للكتاب :**

- اسم الكتاب: محمد الغساني الأندلسي.
- عنوان الكتاب: رحلة الوزير في افتكاك الأسير.
- رقم الطبعة: 01 الجزء: 01.
- تحقيق: نوري الجراح
- دار النشر: دار السويدي للنشر والتوزيع مؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- مكان النشر: بيروت.
- بلد النشر: لبنان.
- سنة النشر: 2002م.
- عدد صفحات الكتاب :181 صفحة.[1]

**2- محتوى الكتاب:**

يعتبر كتاب رحلة الوزير في افتكاك الأسير من أقدم الكتب التي عرفناها عن الرحلات وأهمها، سميت هذه الرحلة برحلة الوزير في افتكاك الأسير، لافتكاك أسرى المسلمين الذين يتحدث الغساني عن الرحلة التي قام بها إلى البلاد الأجنبية (إسبانية)، حيث

[1] محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير (1690-1691م)، تح: نوري الجراح، دار السويدي، أبوظبي والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص15.

وصف مشاهدته لتلك البلاد وما ألقى من العجائب والغرائب هناك، ثم تحدث فيها بعد عن جبل الفتح المسمى بجبل طارق وتاريخ فتح الأندلس وتعتبر رحلة الوزير في افتكاك الأسير من أهم الرحلات التي دونت في عهد مولى إسماعيل، والتي تعتبر الرحلة الأولى من نوعها المغربي إلى الديار الإسبانية، والتي تشكل المرجع الأساسي التي نهلت منه سائر الرحلات.

**ثانيا: مضمون الكتاب:**[1]

يمكننا أن نستخلص مضمون الرحلة من خلال اطلاعنا على محتواه فيما يلي:

لقد انطلقت رحلة الوزير في افتكاك الأسير **(1690-1691)** من المغرب اتجاه إسبانيا والتي قام بها محمد الغساني الأندلسي، فهي تأتي بعد خمسين سنة فقط من رحلة أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي وفق هدفين معنيين هما الإفراج عن أسرى المسلمين بالأندلس ويقدر عددهم بخمسمائة أسير مع إرجاع الكتب المغربية الموجودة في مكتبة الإسكوريال تقدر بخمسة آلاف مخطوط نفيس من مكتبة مولى الشريف زيدان فهو يقدم لنا لوحة دقيقة للحياة الإسبانية، حيث خرج الغساني في مهمة دبلوماسية لدى البلوط الإسباني في عهد كارلوس الثاني وقطع مسارا كبيرا من جبل طارق في **19 أكتوبر 1690**، وقصد الغساني عن طريق ذهاب مدينة السبتة ومرت في طريقها عن طريق قادس شريس إيشكا ،قرطبة، ليناس، ثم منارس مدينة مورا إلى أن ألقى الملك الإسباني منتهاه إلى المغرب في **20 مايو 1691.**

وما توقف رحالتنا عند مكان لكنيسة، مسجد قرية، مدينة... أو عند حدث لفتح الأندلس، انتصار الأتراك، انتصار الفرنسيين... أو عند شخصية ( طارق بن زياد، موسى بن نصير، الملك الإسباني، البابا...) أو عند الديانة (المسيحية، الطقوس...)، إلا أنه أسهب في سرد معلومات عنها بشكل يوحي اتساع معارفه ويظهر الغساني خلال رحلته هذه بمظهر مثقف الذي يناقش رجال الدين بإسبانيا، ومن لقيم من المنتصرين نتيجة حملات ديوان محاكم التفتيش من بقايا مسلمين الأندلس.

[1] محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص 02.

يفتح الغساني دون أي متعارض واصفا لمظاهر الفن والجمال فهو يصف لنا آلات الغناء والطرب، ويسهب في الرقص والتزلج فوق الجليد ومصارعة الثيران... الخ وحسن النساء وجمالهن، ولا يكتفي بالوصف والنقل بل يقوم بانتقاد ممارسات ديوان التفتيش ضد اليهود والمسلمين يتحمس الوزير في الدفاع عن الإمبراطوريتين المغربية والعثمانية لوحدة الدين بينهما، حيث ذكر اسم سلطان الإمبراطورية العثمانية بالتمجيد، لذلك لا غزوا أن عينه السلطان المغربي بعد رحلته هذه، سفير لدى الإمبراطورية العثمانية في الجزائر.

لكن الغساني لم يصف لنا الإسكوريال بشكل الذي قدمته وحالتنا كما قدم لنا معطيات عن مظاهر التقدم المغربي.

فالرحلة إذن سجل واف عن كل ما يتعلق بالمجتمع الإسباني خلال فترة حكم الملك كارلوس الثاني.

**ثالثا: أنواع المكان في رحلة الوزير افتكاك الأسير.**

لقد ارتحل الغساني في موطنه الأصلي (المغرب) متجها نحو إسبانيا بهدف سياسي ومر بمجموعة من الأمكنة، فصور لنا أحوال ومشاهد وآثار المدن التي مر بها، حيث قدم لنا وصفا دقيقا لهذه المدن والتي تختلف صورها باختلاف العادات والتقاليد والموقع الجغرافي، والذي يتحكم في ذلك طبيعة المكان من خلال تأثيره "على العديد من المنظومات الاجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية والزمنية، بل إن هذا التبادل بين الصور الذهنية والمكانية امتد إلى التصاق معان أخلاقية بالإحداثيات المكانية النابعة من حضارة المجتمع والثقافة ... "[1]

وهذا يعني أن المكان في الرحلة قائم على أسس متعددة ومتنوعة وعلى هذا الأساس يمكننا أن نقسم الرحلة إلى المكان الأصلي المكان الآخر، المكان الهدف.

**1- المكان الأصلي: (المغرب مدينة المنطلق)**

يعتبر المكان المنطلق الأساس الأول الذي تتولد فيه نقطة البداية أي أنه يلازم الرحلة فهو يبدأ منه وينتهي إليه، والرحالة يسعى دائما للرجوع إلى مكان المنطلق ويظل غالبا

[1] سيزا قاسم، بناء الرواية، مهرجان القراءة للجميع مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، د.ت 2004م، ص105.

حاضرا في الرحلة حتى بعد مغادرة الرحالة له، ومن هنا يصبح المكان المنطلق المرجع الأساسي التي تلجأ إليه الرحالة.

ويمكن التعبير في رحلة محمد الغساني الأندلسي في قوله:" إنطلقت رحلة الوزير الغساني من المغرب في 19 أكتوبر 1960 وقصد رحالتنا في طريق الذهاب: مرسى جبل طارق ... "[1].

فالمكان الذي إنطلق منه هو المغرب دون أن يصفه ويحدده فهو يعتبر مسقط والموطن الأصلي الذي عاش فيه، فهو المكان الذي يمكن اعتباره الأساس الأول في الرحلة باعتباره نقطة انطلاق الرحالة.

ويتجدد ذكر المنطلق في رحلته وذلك في مرحلة العودة وهذا ما نجده في قوله:« وفي 20 مايو 1691 سلك طريق العودة إلى المغرب»[2]

**2- المكان الآخر:**

يعتبر المكان الآخر هو المكان الذي يعبر ويسير من خلاله الرحالة وصولا إلى المكان الهدف، فهو الطريق الرابط بين مكان الانطلاق والمكان الهدف، ففيه يتجسد السير وتتم الحركة وفيه أيضا ضروب المواجهة مع الغير، فالرحالة في هذا المسار يجمع كما كبيرا من المعلومات والأخبار، ويطلع على تجارب الناس فيه من خلال اللقاءات والمفاجئات التي تصادفه خلال مساره الرحلي ويتملكه الخوف ويثير الإعجاب والتساؤل أحيانا، فيأتي الحديث عن المكان الآخر أكثر من الحديث عن المكان المطلق والهدف وذلك لطوله وكثرة الأحدث فيه، فهو يمتد على مسافة هي الأطول يعبر من خلالها الرحلة أماكن جغرافية متعددة تتباين فيها بينها من خلال اختلاف العادات والتقاليد وطبائع البشر فيها وعلى هذا الأساس أمكنة المكان " يصبح فقط للعبور، وإنما للتزود بالزاد والمعلومات والحكايات والتجارب، مما يجعل

[1] محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص15.

[2] المصدر نفسه، ص 16.

العبور أخصب مرحلة في الرحلة، نظرا لتعدد الأمكنة وتنوع التجارب من جراء اللقاءات والصدمات والمفاجآت ."[1]

وفي هذا المكان يبدأ الإحساس بالغربة والخوف لأنه سيرتاد أمكنة لا يعرف عنها شيئا، فيصبح الرحالة أكثر انفعالا جراء ما يتوقع من أخطار الطريق، فيتوجب عليه أن يغامر ليس مع الأمكنة فحسب بل حتى مع الأشخاص الذين لا يعرفهم إطلاقا، فهو وزير ذو مكانة ومقام عال فعليه أن يتصرف بما يخدم ويتماشى مع هذا المقام الذي يحضى به.

بهذا يعيش الرحالة حياة اللاتوازن والاضطراب وعدم الاستقرار فهو يشق طريق تترصده التهديدات والأخطار الطبيعية أو البشرية فيصبح المكان آمنا تارة وخطيرا تارة أخرى، يمتاز بالإيجابية تارة وبالسلبية تارة أخرى.

فمن خلال تتبعنا لمسار هذا المكان في خطاب الرحلة – رحلة الوزير في افتكاك الأسير – من خلال علاقة الرحالة وبمن هم فيه يمكننا أن نفسه إلى قسمين:

**أ. المكان الإيجابي:**

هو المكان الذي ارتاح فيه الرحالة وصنفه ضمن الأماكن التي جعلته يستقر ويحس بالأمان والطمأنينة، وذلك من خلال وجهة نظره فإيجابية وسلبية المكان لا تحدد إلا من خلال نظرة الرحالة إليه فهو إن ألفه أحب قاطنيه انطلاقا من طبيعة العلاقة التي جمعته بهم وما وقع له من أحداث جميلة معهم، فهو يصفه على أنه مكان ايجابي استحب وجوده فيه، وهذا يعني أن المكان يتأثر بأهله وقاطنيه، فهو يؤثر فيهم باعتباره كما يراه الكثيرون يمثل جزءا في بناء الشخصية البشرية، فالذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها، ولكنها تستنبط خارج هذه الحدود التصبغ ما حولها بصيغتها، وتسقط على المكان قيمتها الحضارية"[2]، إن قيمة لا يمكن أن يحددها المكان ذاته فهذا المكان يمكن أن يكون بغابة الروعة إلا أن الرحالة يصنفه في خانة السلب لما وقع له فيه من أحداث لم ترف له أو ما بدر من أهله تصرفات أو عادات لم يستهويها فؤاده.

---

[1] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة، مصر، دل، 2000م، ص320.

[2] جماعة من الباحثين، جماليات المكان، ص36.

ومن أمثلة الأماكن الإيجابية التي صورها الرحالة حسب وصف نزوله بمدينة أطريرة فقال: " إرتحلنا إلى مدينة يقال أطريرة وفي ما بينها بلاد منسجة، وأرض فسيحة معمورة بغرائب الحرث والمواشي ... فنزلنا دار كبيرة مشرقة على جبل المدينة، وبعد أن طرحوا صلباتهم وردوا أيضا السلام علينا، وهم في البشاشة والفرح بمكان، وأهلها ذوات عظام، والغالب عليهم الحسن رجالا ونساء"[1] يتضح لنا من خلال ما تقدم أن الغساني قد ارتاح في مدينة أطريرة واطمئن لأحلها وطاب له المقام فيها.

تبدأ في خطابه الرحلي قضاء ممدوحا خصه الرحالة بالصفات الحميدة كما وصف لنا الرحالة مدينة قرطبة وأبدى إعجابه بأهلها الذين برزوا لملاقاته، ويصف روعة أزقتها المشحونة بشتى أنواع الحرف والصناعات، وما زاد من جمال وبهاء هذه المدينة هو مسجدها الأعظم الذي بهر بروعته وعظمته حين وصفها قال : " زرنا مسجدها الأعظم الشهير الذكر، البعيد الصيت، هو مسجد كبير جدا في غاية الإتقان وحسن البناء، وبداخله ألف وثلاث مائة وستون سارية كلها من الرخام الأبيض بين كل سارية قوس فوق قوس آخر، وله من الأبواب أربعة عشر بابا وقد سد الكثير من الأبواب وغيرها ومحاربة الإسلامية باق على حاله لم تتغير ولم يحدث فيه شيء، إلا أنه جعلوا عليه شباكا من نحاس وطرحوا أمامه صليبا "[2]

ومازال الغساني يطنب في وصفه المسجد وصفا دقيقا مفصلا لم ينس منه شيئا، حيث أبدع في وصف حدائقه وأسواره وأبوابه المرتفعة وسقفه وصحنه الذي يشبه صحن المسجد الأقصى، وهذا الوصف الدقيق إن دل على شيء فو يدل على أن الغساني أبهر بهذا المسجد العظيم العريق وارتاح لوجوده هناك.

**ب. المكان السلبي:**

هو المكان الذي يخيب فيه ظن الرحالة عندما يجد الصعاب والمتاعب ويختل استقراره فيه فيشعر بالخوف أو يتعرض فيه للظلم أو الإذلال فتهان كرامته، أو يسرف ماله فيكون

[1] محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في التكاك الأسير، ص 39-40

[2] المصدر نفسه، ص46.

هذا كافيا ليتخذ منه موقف العداء والكراهية، أو يمكن أن يعتبره مكان غير مرغوب فيه رغم أنه مكان جيد، فسلبية المكان كإيجابيته لا ترتبط بالمكان بقدر ما ترتبط بالنازلين فه سواء المقيمين أو العابرين.

كما يمكن أن يجد في هذا المكان من العادات والطباع التي لا تتماشى مع طريقة عيشه، أو تمس بمعتقداته فيسلبه هذا المكان راحته.

فمحمد الغساني الأندلسي حين مر ببلاد مانشا التي تعج بالكثير من اللصوص والآفات المنتشرة بين أروقتها وأزقتها أبدى لنا الخوف والرعب الذي يتملك أي أحد يمر منها أو يقطعها، إذ أنه لا يمكن لأحد السفر بمفرده إلى هذه البلاد المخيفة وأظهر ذلك حين قال: " فلقد كان النصارى الموكلون بنا في طريقنا حيث وصلنا هذه البلاد يستعدون ويتأهبو 2ن، ولا يحبون أن يتقدم اححد من اصحابنا ورفقائنا ولا يتأخر مخافة من الآفات، إذا لقينا ثلاثة أناس أو أربعة تسألهم عن مرورهم بالعدة القليلة فيقولون من مثل هؤلاء يُخاف لأنهم إذا وجدوا غمرة في هذه البلاد المخيفة يفعلون ما يفعله اللصوص، ولا يعرف لهم عين ولا أثر"[1].

كما وصف لنا الغساني بعض العادات الغريبة والمعتقدات الدينية المغلوطة التي يمارسونها النصارى والتي أبدى حيرته وتعجبه منها وشكر الله على نعمة الإسلام، وقد جسد لنا حين وصوله إلى مدريد حيث وجد هناك امرأة صغيرة السن تتزوج خالها "ولقد رأيت بمدريد امرأة صغيرة ذات حسن وجمال ومنصب من أكابر أصل إسبانيا وقد تزوجها خالها"[2] وهذا ما حرمه الله تعالى في ديننا الحنيف في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ**﴾ [ سورة النساء الآية 23] ووصف لنا كذلك حين مروره بمدينة كطلونيا بعض العادات والتقاليد والممارسات وعقائدهم الدينية الغريبة كطريقتهم في الصوم، حيث أنهم يصومون على أكل اللحوم فقط أو طريقتهم في الميراث التي لا تتصف أحدا من الوراث ولا تعطي أي ذي حق حقه.

[1] محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في التكاك الأسير، ص60.

[2] المصدر نفسه، ص 191

لم يحك على أي عادة من عاداتهم الغريبة إلا وتعود من الله منهم ومن جهلهم وأبدى اشمئزازه منهم ومن الضلال الذي هم فيه.

**3- مكان الهدف:**

هو المكان المنشود الذي سعى إليه الرحالة وهو المكان الأساسي الذي قامت عليه الرحلة، خاصة وأنه مكان تم تحديده مسبقا وهو مرتبط بمقصد الرحلة الأساسي، المقصد هنا هو دبلوماسي لدى البلاط الإسباني وفي حجته مطلبان أولهما إطلاق سراح خمسمائة أسير مسلم في فترة شهدت حروبا لم تنقطع المغاربة والإسبان، أما الثاني فهو تحرير مكتبة من المخطوطات العربية تقدر بخمسة آلاف مخطوطة بمهمة أداها له السلطان مولاي إسماعيل.

فغالبا ما يتم المقصد في بداية الرحلة حيث يضع الرحالة ورسم طريقه الذي يشقه في تخطيط واسع ومحكم ولكي يتفادى مواجهة المشاكل والصعاب، فبعد أن يضع الهدف من الرحلة والمكان المقصود يقرر زمن إنطلاق رحلته ومكانها، فمكان الانطلاق هذا هو المغرب أما الهدف فهو إسبانيا وتحديدا مدينة مدريد.

يذكر الغساني أنه عند وصوله مدريد بات في قرية صغيرة بدوية لا حضارة لها حيث وصف لنا أهلها التي غلبت عليهم مظاهر البداوة وهذه القرية تسمى «بنكص» وهي حاضرة من حواضر مدريد وهي على بعد عشرون ميلا من مدريد وكان انطلاقه منها صبيحة الغد متوجها إلى مقصده مدينة الحضارة والازدهار في ذلك الزمان مدين مدريد، فيها كان مستقر طواغي إسبانيا.

من ثم كان وصوله إلى مدينة تسمى «خطافي» حيث وجد رجلا من أعيان الطاغية يسمى "كرلوص ذو الفسطيلي" يلقب بالكندي قد توجه لملاقاته، حيث أخبرنا الغساني أن "الكندي" هو المعين عنده للقاء الوفود الواردة عليه من الممالك الأخرى الإسلامية وغيرها وهذه هي خطة هذا الكندي لا غيره، وله عليها من الراتب ثلاثة آلاف ريال في كل سنة"[1] ومن خلال هذا نلاحظ أن الرحالة لم يفوت أي صغيرة وكبيرة إلا وذكرها لنا، وهذا ما يتميز

[1] محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص 66.

به النص الرحلي الذي بين أيدينا، فقد كان الغساني ذا ثقافة عالية وعلم واسع تميز به في زمانه.

وقد حرص الرحالة على وصف المدينة التي كانت مقصده فقال: "فدخلنا المدينة وإذا هي مدينة كبيرة جدا مليحة البناء، واسعة الفناء فتيحة الأرجاء وبها من الخلق عدد كثيرة"[1] وتحدث لنا عن استقبال أهلها له وعن ملاقاته للأسرى الذين فرحا بقدومه وهم يتهافتون بلفظ الشهادة والصلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم على أمل تحريرهم وهو ما جاء الغساني من أجله.

كما حدثنا الغساني على حسن استقبال الطاغية له وأنه أنزله في دار كبيرة اثني عشر يوما قبل أن يقابل الطاغية، حيث كان يرتاد عليهم كل يوم الكندي أمر من الطاغية يتفقدهم ويرسل سلام ملكه ويخبرهم أنه أراد راحتهم من مشقة السفر.

ووصل اليوم الذي سيلقى الغساني فيه الطاغية ويبلغه رسالة مولاه السلطان إسماعيل فيقول في هذا: وجدنا الطاغية واقفا على قدميه وقد جعل في عنقه سلسلة من ذهب» وذكر الغساني أن هذه السلسة . هي بمثابة التاج عندهم وأنها من عادات ملوك العجم.

وقال أنه وجد طبلة من ذهب أعدها الطاغية أيام إقامتهم هناك من أجل أن يضع عليها رسالة السلطان إسماعيل، وذلك إكراما وإجلالا له، وكما عودنا الغساني فإنه يخوض في التفاصيل الدقيقة و يذكرها لنا فقد ذكر لنا في هذا وصف لباس العدو وبلاطه والحديث عن خدمه وحشمه وصولا إلى زوجته والحديث عن كل ما رأت عيناه في ذلك اليوم.

وأخبرنا الغساني سلمه الكتاب السلطاني بعد أن سألهم الطاغية مطولا عن أحوالهم وما لقوه من تعب الطريق وسألهم عن السلطان فلم يقصر في الترحيب بهم «وناولناه الكتاب المبارك السلطاني بعد تقبيله ووضعه على الرأس، فتناوله وقبله وجعله على الطبلة المعدة له... وبعد أن مر بنا الكلام قال: « الحمد لله على سلامتكم سنعيد الكلام في ما أتيتم لأجله

[1] محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في التكاك الأسير، ص 67.

في وقت آخر، فخرجنا من عنده وخرج من كان معه للتشييع قاصدين محل نزولنا وموضع مقامنا»[1].

وبذلك يتبادر سؤال إلى أذهاننا سؤال هل استجاب كارلوس للمكتوب السلطاني؟ أم أنه مر عليه ولم يعره أي اهتمام يجيبنا الغساني عل هذا التساؤل بنص مبهم لا يحسم الأمر يقول:

"وحين انفصلنا عنه يوم ملاقاتنا معه وناولناه الكتاب السلطاني دفعه النصراني الحلبي المترجم ليترجمه ويعجمه، فلما الكتاب ورأى ما فيه وما أشار به عليه نفت عليه الوطأة العلوية عجم ولم يدر كيف يتلقى هذه الإشارة وعرف أنها عزمة من الملك نصره الله، ولم يمكنه إلا الاضطراب لما شرب في قلبه وقلب أهل ديوانه من حيث الإمامة العلوية وعلو همتها أبقاه الله بمنته"[2].

وبهذا اختتم الوزير الغساني لقائه مع الطاغية في نص مبهم لم يذكر لنا بعده ما إذا تم تحقيق مطالبه الذي شق كل هذه المسافة لأجله أم لا.

**رابعا: الأمكنة المغلقة والأمكنة المفتوحة**

يعتبر المكان من أهم عناصر أدب الرحلة، كذلك أنه يقوم بدور فعال في بنائها، فمنه تنطلق الأحداث والشخصيات وهو عنصر أساسي في تشكيل الرحلة وعناصرها.

والمكان في الرحلة يختلف أنواعه باختلاف أحداث وشخصيات الرحلة، وللإحاطة بالأمكنة حسب اتساعها وانفتاحها بنوعيها العامة والخاصة.

**1- الأماكن المغلقة:**

الأمكنة المغلقة لها صلة وثيقة بحياة الإنسان، فهو يعيش في أحضانها كل تفاصيل حياته الخاصة "المكان المغلق هو مكان العيش والسكن الذي يأوي الإنسان، ويبقى فيه فترات طويلة في الزمن، سواء بإرادته أو بإرادة الآخرين، لهذا فهو المكان المؤطر بالحدود

[1] محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص 70.

[2] المصدر نفسه، ص 84

الهندسية والجغرافية، ويبرز الصراع الدائم القائم بين المكان كعنصر فني وبين الإنسان الساكن فيه.."[1]

ومن خلال دراستنا لرحلة الوزير في افتكاك الأسير، فيمكننا أن نحدد أهم الأماكن المغلقة الموجودة في الرحلة.

**أ. المسجد:**

هو بيت للعبادة والتقرب إلى الله والصلاة والدعاء، وهو أحب البقاع إلى الله، فهو يحمل دلالات دينية تميز الدين الإسلامي عن باقي الديانات، إذ يؤذي فيه المسلم صلواته قربانا من الله عز وجل، وهو من العناصر الأساسية في تكوين المدن والقرى، وهو مركز ترابط الأمة ووحدتها ومنبع إيمانها وقوتها ..[2]

ذكر الغساني في بادئ الرحلة مسجد قرطبة الذي شاهده أثناء رحلته عند مروره من مدينة قرطبة، والذي يعد من أشهر وأعظم مساجد إسبانيا إذ يوصف بأنه تحفة معمارية حقيقة تجسد العمارة الإسلامية وهذا ما نجده من خلال قوله:

"بعد أن زرنا المسجد الأعظم الشهير الذكر ، البعيد الصيت وهو مسجد كبير جدا في غاية الإتقان وحسن البناء، وبداخله ألف وثلاث مائة وستون سارية كلها من الرخام الأبيض بين كل سارية قوس فوق قوس آخر، وله من الأبواب الآن أربعة عشر بابا وقد سد الكثير من الأبواب... وغيرها"[3].

تعمق الغساني في وصف مسجد قرطبة وأبدى إعجابه بشكله وإتقان بنائه كما تطرق إلى وصف ما بداخل هذا المسجد وصفا دقيقا من سواري وأبواب معددا إياها.

[1] مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق ص 44.

[2] الشريف حبيلة بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني ، عالم الكتب الحديثة ، دار بدر ، الأردن ، ط1 ، 2010م ، ص 244

[3] محمد الغساني الأندلسي ، رحلة الوزير في افتكاك الأسير ، ص 45

ويستمر الغساني في وصف مسجد قرطبة وصفا خارجيا وكل ما يحيط به من جميع جوانبه مبينا مكانته وعظمته وعلو وارتفاع منارته، وهو يقارن بين منارته ومنارة إشبيليا وطليطلة فوجدها دونها في الارتفاع.

إذ يقول: «لهذا المسجد صحن كبير جدا مشتمل على حصة ماء في وسطه، يدور بها صحن من أشجار النارنج، مائة وسبع عشر ،شجرة، ويقابل موضع المحراب، من الصحن منار المسجد وهو منار كبير مبني من الحجارة إلا أنه ليس بغاية الارتفاع كمنار طليطلة واشبيلية... الخ»[1].

ويقول في موضع آخر : " وهذا المسجد هو أكبر مساجد الدنيا وأعظمها"[2].

من خلال ما ذكرنا، نجد أن الرحالة وصف لنا وصفا لمسجد قرطبة الذي يعد من أشهر وأعظم مساجد في الأندلس، التي صادفه الغساني أثناء رحلته إلى البلاد الإسبانية، منبهرا بحسن بنائه وعظمة مكانته ويحتفظ مسجد قرطبة اليوم بصورة إسلامية رغم ما أصابه من تغيير بعد العهد المسيحي.

كما شاهد الغساني مسجد طليطلة أثناء مروره من المدينة في الأندلس يقول: "وبمرورنا على مدينة طليطلة لتشاهد مسجدها الجامع الذي هو من عجائب الدنيا في بنائه وذكره بعد صيته..."[3].

وصف لنا صاحب الرحلة (مسجد) وأبدى إعجابه بهذا المسجد الكبير في غاية الارتفاع، منبهرا بزخاريف بنائه من رخام والحجارة مما يزيد من روعة وجمال مدينة طليطلة.

يستمر السفير المغربي وصفه لمسجد طليطلة وصفا خارجيا مبينا أعاجيب بناءات وصناعة، كما تطرق إلى وصف جميع الجوانب المحيطة به من بيوت وخزائن وما يوجد بداخل هذا المسجد من ذخائر وتحف ومنارات.

---

[1] محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص 46

[2] المصدر نفسه ، ص ن

[3] المصدر نفسه ، ص 133

وهذا ما نجده في قوله: " وأبواب المسجد غاية الإتقان وصناعة... وفي جوانب هذا المسجد بيوت كثيرة مشتملة على خزائن من أموال كثيرة، فيها من ذخائر والأحجار الملونة..."[1].

**ب. الفندق:**

هو مسكن يسكن فيه الشخص لوقت قصير، مقابل أجر فهي أماكن طارئة استوجب الظرف والقدر وجودنا فيها.

ففي رحلة الغساني وصف لنا الرحالة الذي نزل في مدينة شكلانة يقول: " وصلنا دار معدة للنزول قريب مدينة تسمى شكلانة، إذ كانت في سفح جبل منكب عن الطريق... فعند كل مسافتين أو ثلاثة مسافات يجعلون فندقا أو دار معدة لنزول الضيوف والمسافرين فإذا وصل المسافر إلى موضع منها ينزله الضيوف والمسافرين فإذا وصل المسافر إلى موضع منها ينزله ويجد فيه من طعام ما يشتهيه..."[2]

ذكر لنا الغساني مجموعة من الفنادق التي كان يرتادها أثناء تنقلاته بين مدن شكلانة وبينطة، فعند كل مسافتين أو ثلاثة مسافات يجعلون فندقا أو دار للراحة بعد عنائهم من سفر وشدة الإرهاق أو من أجل قضاء حاجتهم من طعام أو شراب... الخ.

كما وصف لنا الرحالة الذي نزل في فنادق بينطة إذ يقول : " وبهذه الفنادق المعدة لهؤلاء الرفاق والمسافرين خيل معدة بقصد سغراء المخزن ورقاقيصة ... ويسمونه بلسانهم لبينطة" .[3]. ومن خلال ما سبق نستنتج أن الرحالة كثير التنقل والإرتحال.

**ج. السجن:**

هو من الأماكن المغلقة، يخسر فيه الشخص حريته بسبب فعل مخالف للقانون، يعزل فيه الشخص عن العالم الخارجي وعن أهله وأقاربه.

---

[1] محمد الغساني الأندلسي ، رحلة الوزير في افتكاك الأسير ، ص 134

[2] المصدر نفسه ، ص 58

[3] المصدر نفسه ، ص 61

وصف لنا صاحب الرحلة البرج الذي سجن فيه (الدويندي) * بأنه بغاية المناعة والتحصن من عهد المسلمين وهذا ما نجده في قوله: « ... وهذا البرج في غاية المناعة والتحصن في عهد المسلمين...»[1].

واصل الغساني في وصف هذا البرج حيث انبهر لعلو ارتفاعه قائلا: « ولعلو هذا البرج يشرف على بلاد كثيرة ... »[2].

**د. المستشفى:**

هو مكان الذي يذهب إليه الشخص المريض عندما يحس أنه ليس بخير في حالة إستعجالية يتكون من أطباء وممرضين ومرضى، نجد فيه العديد من الغرف والمكاتب الخاصة بالأطباء، كما نجد فيه أسرة وأجهزة الأطباء بمختلف أنواعها يشترط أن تكون فيه كل الأدوات الخاصة بالنظافة للحفاظ على حياة المرضى من مكروبات وفيروسات.

تطرق الغساني إلى المؤسسات التي انبهر منها حيث تعمق في وضعها ومن بينها المارسنات (المستشفيات) فيشير إلى أن مدريد وحدها بها أربعة عشر مرستانا في غاية الكبر

والنظافة والإقامة من الفرش والطعام والمعاجين ومن يقوم بأمر المرضى.

كما شاهد الغساني بيتا آخر يضعون فيه حوائج المرض ويحرصون على نظافة المريض من لباس وفرش وغسيل السلامة صحته وهذا ما نجد في قوله: «ولقد رئيت عندهم بيتا آخر فيه حوائج المرض وذلك إذ يدخل المريض المرستان يزيلون له. جميع ما عليه من ثياب .... ويلبسونه حوائج أخرى، ويجعلون له سريرا عليه لحافات وإزارات ووسادة وكل ثمانية أيام يغسلون الثياب التي عليه ويجعلون له ثيابا أخرى»[3].

حيث انبهر الغساني بمدى اهتمام أطباء مستشفى مدريد) بالمرضى إذ يقول: «ولكل مارستان من هذه طبيب معلوم تعيين له دار سكناه قرب المارستان وكراؤها من الوفر،

[1] محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص 83.

[2] المصدر نفسه، ص ن.

[3] المصدر نفسه، ص92 .

وجميع مونة الطبيب وما يتعلق به وخشمه من الضروريات ومعيشته كلها من الأوقاف ليكون سائر الأوقات حاضرا غير غائبا»[1].

من خلال ما تقدم نجد أن الغساني تعجب بالأهمية التي تحضى بها مستشفيات على الاهتمام بالمريض وصحته في بلاد مدريد ودليل على ذلك أرقى الخدمات في الأطعمة والأشربة والأفرشة التي تقدم هناك، ومدى تقدم الغرب ونهضته في شتى الميادين.

**هـ. الكنيسة :**

هي مكان العبادة للديانة المسيحية لممارسة شعائرهم والطقوس الدينية.

ذكر لنا الغساني كنيسة الاسكوريال التي تم بنائها في عهد فليب سكوند، والتي تقع بين حاصر من مدينة من مدن الفرنسيين للراهب يسمى لونصو الريال الكنيسة ما اشتملت عليه من دار الطاغية وتوابعها كله من الحجارة الصلبة الشبيهة بالرخام... وهي حجارة كبيرة هائلة جدا..."[2]

نجد أن الغساني وصف لنا بإسهاب ما رآه من نقوش ورسوم المرسومة على هذه الكنائس.

ويواصل الغساني في صف هذه الكنائس وقد أبدى إعجابه بعلو وارتفاع كنسية الاسكوربيال قائلا: « وهذا الاسكوربيال هو في غاية الضخامة والعلو وارتفاع السمك في الجو..."[3]

وتطرق السفير المغربي إلى وصف ما بوسط هذه الكنائس قائلا:« وبوسط الكنيسة قبة عالية السمك، وهي في غاية الإتقان والصناعة مرتفعة على أربع سور عظام، سعة كل ربع من أرباع السارية نحو اثني عشر دراعا، وفي كل ربع منها مجلس مفروش بالحرير..."[4]

---

[1] محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص 92

[2] المصدر نفسه ، ص 123

[3] المصدر نفسه ، ص ن

[4] المصدر نفسه ، ص 124

أطنب الغساني هذه الكنائس وصفا دقيقا وأبدى إعجابه بإتقان بنائها وعلو ارتفاعها، كما أعجب بسواري المغطاة بالحرير.

يواصل الغساني في وصفه لهذه الكنائس حيث قدم لنا وصف ما شاهده بداخل هذه الكنائس من أنواع الجواهر والذخائر والنفائس وهذا ما نجده في قوله: «وفي داخل هذه الكنسية من قناديل الفضية والذهبية والنحاسية المموهة بالذهب الكثير ...»[1].

**2- الأماكن المفتوحة :**

اتخذت رحلة الوزير في افتكاك الأسير بعض الأماكن المفتوحة كإطار لأحداث الرحلة وهو "حيز مكاني خارجي لا تحده ضيقة بشكل فضاء رحبا، وغالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق"[2]، فالمكان المفتوح يحس فيه الرحالة بالانتعاش والراحة والألفة، فهو حيز لا حدود له وليس ضيق على عكس المكان المغلق والأماكن المفتوحة لها حضور واضح في الرحلة يمكن حصرها في:

أ. **المرسى:** ذكر الرحالة المرسى في بداية الرحلة وخص به مرسى جبل طارق، وتحدث محلول عن هذا المرسى وتاريخه العريق، فمنه كان مبدأ فتح العدوة الأندلسية، وقد حضي هذا المرسى بشهرة عالية ومكانة رفيعة لما يحمله من أحداث تاريخية جرت فيه جعلته بهذه المكانة والرفعة.

وكان منطلق الوزير منه متوجها إلى إسبانيا لأداء المهمة التي كلف بها "وكان وصولنا إلى هذه المرسى عشية يوم الأربعاء أوساط محرم فاتح اثنين بعد مائة وألف 1102 وهو يوم ركوبنا البحر"[3].

ومن خلال ما سبق نلاحظ أن المرسى هو المحطة الرئيسية التي بدأ منها الرحالة رحلته فهو بمثابة البوابة التي فتحت له الطريق إلى هدفه.

ب. **البحر:** يعد البحر أفضل الأماكن التي يستطيع الإنسان أن يخوض فيه دون حواجز،

---

[1] محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص 124

[2] أوريدة عبود المكان : والتوزيع، د.ط، الإسكندرية، مصر، 2009م، ص51

[3] محمد الغساني الأندلسي ، رحلة الوزير في افتكاك الأسير ، ص 33

ينتقل فكما يعتبر أحد الأماكن للتنزه والفسحة والترويح عن النفس، فهو كذلك منطقة . عبور على متنها الرحالة في رحلاتهم، وكما يكون له أثر إيجابي كذلك يمكن أن يكون أثره سلبي في نفسية الرحالة وذلك إن واجهته فيه المخاطر والصعوبات.

وقد حضر البحر في رحلة الوزير في افتكاك الأسير حين مر به الرحالة كمنطقة عبور على متن السفينة فيقول : « ولما انتصف الليل هاج علينا البحر واشتدت هيجانه وتلاطمت أمواجه، والمركب يتقلب يمينا وشمالا،ويتمرغ كما تتمرغ الدابة إلى أن دخلنا الفزع والرعب»[1]. القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دراسة بنيوية للقوس تاثر، دار الأمل للطباعة والنشر البحر في مفهومه العام هو رمز للحرية والإنساع إلا أنه قد يدخل للشخص الرعب والفزع إذا واجه فيه الصعاب والمشقة وفقد فيه استقراره وطمأنينته وهذا ما حدث مع الغساني في رحلته.

**ج. الغابة** : هي قضاء مختلف التضاريس من جبال وسهول أو منخفضات، وتتضمن الأشجار والأعشاب والحيوانات المختلفة، فهي مكان يستقطبه الناس قصد الترفيه عن النفس والتنزه واستنشاق الهواء النقي العليل.

وذكر الغساني أثناء سيره من مدينة "مرشية إلى مدينة "إشكا" حيث وصف روعة غابات الزيتون التي غطت الطريق فقال: «وفي ما بينها بلاد متسعة الأرجاء فسيحة ذات جنات وبساتين، وأكثر أشجارها شجر الزيتون فعلى مدينة "مرشية" من ناحية "إشكا" ثمانية أميال كلها معمورة بالزياتين، وفي كل غابة من زياتينها دار مخزن الزيتون»[2]. ويصف لنا الرحالة هنا روعة المناظر الخلابة التي سرته زيارتها.

**د. الوادي:** هو حوض أو منخفض طبيعي على سطح الأرض تمتد الأودية بين السهول والهضاب والجبال، وتمتاز أراضي الأودية بخصوبتها مما يجعلها صالحة للزراعة، وهذا ما ذكره لنا الرحالة طوال وصفه للأودية التي مر بها التي امتازت بخصبة أراضها وحسنها مما جعل منها جنة فوق الأرض.

[1] محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص 34

[2] المصدر نفسه ، ص 41

وذكر الغساني لنا أودية كثيرة مر بها خلال رحلته فلا تكاد تخلوا أي مدينة من وادي يزيدها بهاءا وروعة، ومثال ذلك وادي شنيل" الذي يمر بمدينة "إيشكا" فهذه المدينة كما ذكرها سابقا فهي جنه الله في أرضه ذات حسن وبهاء تكسوها الخضرة من كل جانب حيث قال فيها الرحالة: « رأيتها من حسن المنظر وبهاء ما ليس في غيرها من سائر المدن العدوة، وهي في غمور من الأرض على شفير الوادي المسمى بواد شنيل»[1].

ومن الأودية كذلك التي ذكرها لنا الرحالة وأبدع في وصف جمال الأراضي التي أحاطت بها وهو الوادي الذي يمر من مدينة "الكاربي" وهي مدينة صغيرة على نشر من الأرض بمقربة الوادي أيضا، وبهذا الوادي دواليب ونواعير تصعد الماء من الوادي إلى البساتين تحت المدينة، وذكر لنا أهلها الذين امتازوا بالفلاحة والبداوة والحراثة ذلك لخصبة أرضهم وسهولة زراعتها.

ومن الأودية كذلك التي خصا الغساني بالذكر الوادي الذي يتجمد في زمن البرد والذي يقصده النصارى للتزلج «غير أن أكثر من يمر على الجليد لهم بذلك خبرة من يكون من جنس الفلامنك والإنجليز، وذلك حيث كانت بلادهم في ناحية الشمال يكثر فيها الثلج والجليد في جميع المواضع لاسيما الأودية»[2].

وهذا الوادي مقره مدريد وهو على مقربة من دار الطاغية يحفها الجمال والروعة من كل جانب.

من خلال ما ذكرناه نلاحظ أن إسبانيا تزخر بكثرة الأودية وتنوعها فهي بلاد صورها لنا الرحالة منوحة التضاريس وغنية بخيراتها.

**هـ. المدينة** : هي مستوطنة حضارية ذات كثافة سكانية كبيرة ولها أهمية تميزها عن المستوطنات الأخرى، وتعتبر المدينة مكان تتوفر فيه كل مرافق الحياة، فهي تمتلك أهمية بارزة في الفضاء الرحلي، فهي تعتبر من أهم الأماكن التي يزورها الرحالة ويقضي فيها

[1] محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص 42

[2] المصدر نفسه ، ص 85

أغلب أوقاته فهو من خلال مساره في الرحلة يتنقل من مدينة لأخرى، حتى يصل إلى المدينة التي يقصدها فيها يقيم علاقته . مع الآخرين ويحتك بهم.

ومن خلال النص الرحلي الذي بين أيدينا فإن المدينة شغلت حيزا كبيرا فيه، فقد إنتقل الرحالة في مساره من مدينة لأخرى واصفا لنا كل ما شاهده واكتشفه، ومن المدن التي جلبت انتباه الرحالة في روعتها وبهائها مدينة قرطبة « فإذا هي مدينة متحضرة بين الصغر والكبر، وهي في غاية النظافة، ولأهلها حسن وأخلاق، وبوسطها المسجد الجامع العجيب الشكل متقن البناء، وبصحبته أشجار النارنج وهو من عهد المسلمين»[1] ، فمن خلال هذا نلاحظ أن الغساني قد أعجبته مدينة قرطبة وما زادها جمالا وبهانا هو جامعها العظيم الذي يعود في تاريخه على خليفة المسلمين.

ومن المدن كذلك التي أثارة جنون الرحالة في جمالها «مدينة تسمى "أندوخر"...وهي مدينة قديمة أثرها أثر الحضارة وهي على ضفة الوادي الكبير أيضا، وعلى هذا الوادي بقرب مدينة قنطرة قديمة من عهد الإسلام، وبفحص هذه المدينة من الزيانين والفروس والبساتين وأرض الحراثة ما لا يحصى، وأهلها أصل حراثة وفلاحة، والأغلب على عمارها أنهم من بقايا الأندلس وجلهم من أولاد السراج الذين كانوا تنصر على عهد السلطان أبي الحسن آخر ملوك غرناطة، وذلك فيما يزعمه النصارى»[2] ، وعبر الكاتب من خلال هذه الفقرة إعجابه بالمدينة حيث يجيد كالعادة تصويره لأماكنها المختلفة والمتعددة التي تركت في نفسيته انطباعا حسنا.

**و. البستان:** هو كل أرض يحيطها حائط وفيها أشجار متفرقة وأعشاب، يمكن زراعة ما بين الأشجار بالفواكه والخضروات التي يمكن أن تفي باحتياجات الأسرة على مدار العام والبستان هو ملكية خاصة يملكه الشخص من أجل الانتفاع بخيراته.

وذكر لنا الغساني البساتين في مواضع كثيرة، فلا تكاد تخلوا أي كنسية أو مسجد من بستان يحيط بهم، وكذلك يعتبر البستان أحد أهم المرافق التي تتماشى مع منازل الطاغية

[1] محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص 44

[2] المصدر نفسه، ص 52

فهي بمثابة زينة لهم، وحيث حدثنا الغساني عن كنيسة الأسكوريال وحدثنا عن أخبارها ولم ينس وصفها من كل النواحي، فقد وصف لنا بستانها الكبير «المشتمل على جداول وأنهار وأشجار بشكل عجيب وهو إلى نظر الفريلية يدور بجميع هذه الكنيسة وبستانها موضع مصد الطاغية وقنصه، ويحيط به صور من حجارة في غابة الانساع»[1].

وفي موضع آخر ذكر لنا الغساني بستان منزل الطاغية «وهذا البستان هو غاية في جداوله واتساقه ونظم أشجاره، وقد اشتمل على أزهار وأنوار ودواليب وصهاريج وبرك مياه على كل صف وبه مقاعد في غاية الإتقان والحسن مطلة على الوادي من كلا الجانبين»[2]، من خلال هذا الوصف نرى أن الغساني قد أعجب كثيرا بهذا البستان الجميل.

[1] محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، ص 126

[2] المصدر نفسه، ص 132

# خاتمة

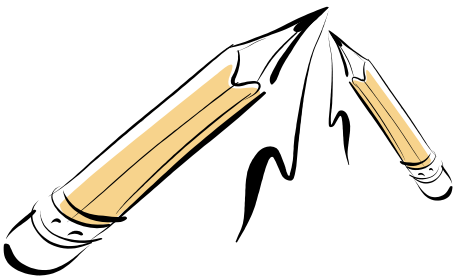

**خاتمة:**

بعد رحلة البحث التي حاولنا من خلالها دراسة الحبك المكاني في رحلة الوزير في افتكاك الأسير، استخلصنا النتائج التالية:

- اختلف استخدام مصطلح المكان من ناقد لآخر، ومن تجربة نقدية لأخرى، فمنه من يبرد لفظ المكان، ومرة يرد لفظ الفضاء أو الحيز.
- أن تقسيمات المكان تختلف من باحث إلى آخر كل حسب خلفيته النظرية التي اعتمدها، إضافة إلى النموذج المراد دراسته.
- لا يمكن تصور المكان في الرحلة بمعزل عن باقي عناصر السرد، حيث لا يمكن تصور مكان بمعزل عن الشخصيات الأحداث الزمن اللغة هذه العناصر المجتمعة هي ما يمنح للمكان جماليات النص.
- أن الغساني عرف بالأمكنة التي دارت فيها الأحداث ولم يتركها مجهولة.
- يظهر لنا المكان بأنماط مختلفة في الرحلة منها الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة.
- أن أحداث الرحلة لم تكن في مكان واحد، بل كانت في أمكنة متعددة.
- تعتبر رحلة الغساني وثيقة تاريخية هامة بينت الصراع بين العرب والغرب.
- صورت رحلة الوزير مظاهر الحياة في البلاد الإسبانية خلال القرن السابع عشر.

تمثل هذه الدراسة الموسومة بالحبك المكاني في رحلة ابن حمادوش الجزائري" محاولة لدراسة طبيعة ووظيفة المكان في الرحلة لأن المكان هو العمدة، لذلك فالمكان في الرحلة ليس مجرد إطار للأحداث والشخصيات فقط، وإنما هو عنصر مهم وفعال باعتباره مرتبط بالأحداث التي تم سردها.

فبعد رحلة البحث هذه التي حاولنا من خلالها دراسة المكان استخلصنا عدة نتائج فقد أوضحت الدراسة النظرية والتطبيقية أن:

- مصطلح المكان اختلف استخدامه من ناقد إلى أخر، ومن تجربة نقدية لأخرى، فمرة يرد بلفظ المكان ومرة يرد بلفظ الفضاء ومرة أخرى بلفظ الحيز .

- أن تقسيمات المكان تختلف من باحث إلى أخر كل حسب خلفيته النظرية التي اعتمدها إضافة إلى الأنموذج المراد دراسته.

- لا يمكن تصور المكان في الرحلة بمعزل عن باقي عناصر السرد، حيث لا يمكن تصور مكان بمعزل عن الشخصيات الأحداث الزمن، اللغة، فهذه العناصر هي ما يمنح المكان معنى ودلالة ودونها يظل وعاء فارغا من كل إيحاء.

- أن أدب الرحلة فن نثري، يقوم على رحلة قام بها شخص في الواقع، فينقل للقارئ مشاهداته وانطباعاته التي تركتها الرحلة دون غيرها راجع إلى كون هؤلاء الرحالة كان لهم تأثير على الوطن العربي كله من خلال ما دونوه.

- تتميز الكتابة الرحلية بجملة من الخصائص الفنية التي تميزها عن الأجناس السردية

# قائمة المصادر والمراجع

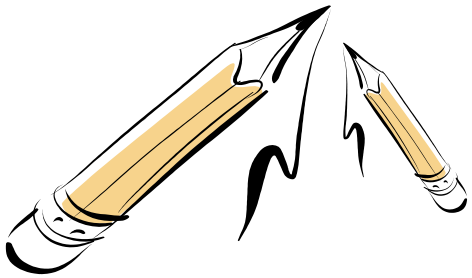

- **القرآن الكريم.**

- **المصادر:**

1. محمد الغساني الأندلسي، رحلة الوزير في افتكاك الأسير (1690-1691م)، تح: نوري الجراح، دار السويدي، أبوظبي والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.

- **المراجع:**

2. إبراهيم خليل ، بنية النص الروائي ، ط1 ،الدار العربية للعلوم ناشرون (منشورات الاختلاف الجزائر) ، بيروت ، لبنان ، 2010م.

3. ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد، مقدمة ابن خلدون تح درويش جويدي، ط2، المكتبة العصرية، بيروت، 2000م، ج1.

4. ابن منظور، لسان العرب، مادة (كون)، تح خالد رشيد القاضي، ط1، دار صبح، بيروت، لبنان، 2006م، ج12.

5. أبي حامد أحمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986م، ج2.

6. أحمد زنيير، المكان في العمل الفني، مجلة عمان، أمانة عمان الكبرى، ع 29، آذار 2006م.

7. أحمد عوين ، ابعاد المكان الفنية في عصافير الليل لابراهيم أصلان ن دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر ، 2004م، ص 62 نقلا عن سعدية بن يحيى ، دلالة المكان في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي ، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير ، جامعة الجزائر ، 2007 – 2008م

8. أحمد يوغلا الرحلة الأندلسية، الأنواع والخصائص، ط1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2008م.

9. إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء تقديم عليوش عبود، نط، موقم للنشر، الجزائر، 2007م، ج2.

10. أريسطو طاليس، الطبيعة تر: إسحاق بن حسين، تح عبد الرحمان بدوري، ط1، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1984م.

11. أغناطسوش يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، تر : صلاح الدين عثمان هاشم ، ط2 ، دار الغرب ، الإسلامي ، بيروت ، 1987م.

12. أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية تر خليل أحمد خليل، ط2، منشورات عويدات، بيروت، 2001م.

13. باديس فوغالي الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، 2008م.

14. بدري عثمان ، بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ ، ط1 ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، 1986م.

15. بطرس البستاني، دائرة المعارف، دط، مطبعة المعارف، بيروت، 1854م، مج 8.

16. بلقاسم بالحارث، جماليات المكان في رحلة الحج إلى بيت الله الحرام للحاج ناصر الدين ديني والحاج سليمان بن إبراهيم مذكرة معدة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة العقيد أكلي محند أولحاج، البويرة، 2013،2014م.

17. بن عمارة منصورية المكان في الشعر المغربي القديم (من القرن الخامس هجري إلى نهاية القرن السابع الهجري)، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماجيستر في الأدب المغربي القديم جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2011م.

18. البيروني ، أبو الرحيان محمد بن أحمد ، تحقيق مالهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ، د،ط ،دائرة المعارف العثمانية ، 1985م.

19. ترفيطان تودوروف باختين ومبدأ الحواري تر صالح فخري، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1996م.

20. حسن عليان تداخل الأجناس الأدبية، الرواية والسيرة، سيرة مدينة وشعب دار مجانوي للنشر والتوزيع، الأردن 2012،2013م.

21. زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

22. سعيد يقطين، قال الراوي، ط1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، 1997م.

23. سميرة انساعد، صورة المشرق العربي من خلال رحلات الجزائريين في العصر العثماني، مجلة التراث العربي: مجلة فصيلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع ، 97، السنة 24 آذار 2005م.

24. سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة الثلاثية نجيب محفوظ، ط1، دار التنوير، بيروت، 1975م.

25. الشريف حبيلة بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني ، عالم الكتب الحديثة ، دار بدر ، الأردن ، ط1 ، 2010م.

26. شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة، مصر، دل، 2000م.

27. الصادق قسومة طرائق تحليل القصة، دل، دار الجنوب للنشر، تونس، 2000م.

28. صلاح الدين علي الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م.

29. عبد الرحمان بدوري، مدخل جديد إلى الفلسفة، طال، وكالة المطبوعات، الكويت، 1979م.

30. عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله ، درط المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1983م.

31. عبد الله الخمار، فن الكتابة وتقنيات الوصف، دل، دار الكتاب العربي، الجزائر، 1998م.

32. عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة العربية الحديثة، تط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بن عكنون، 1995م.

33. غاستون باشلار جماليات المكان تر غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1984م.

34. فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ط2، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 2002م.

35. قيس عمر محمد ، البنية الحوارية في النص المسرحي ، ناهض الرمضاني أنموذج ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن ، 2012م ، ط1.

36. لحسن كرومي جماليات المكان في الرواية المغاربية، بحث قدم لنيل شهادة دكتوراه، جامعة وهران، 2005- 2006م.

37. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط مادة (كون)، تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة باشراف: محمد نعيم العرقوسي، طع مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 2005م.

38. مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.

39. محمد بن عثمان المكناسي، الإكبر في فكاك الأسير، تح محمد الفاسي دطه المركز الجامعي للبحث العلمي، المغرب، د ت ص خز (المقدمة).

40. مخائيل باختين، أشكال المكان والزمان في الرواية، تر يوسف حلاق، د.ط، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1990م.

41. مختار حساني، تاريخ تحرير مدينة وهران، د حل الرحلة القمرية لابن زرقة، تحقيق محتار حساني، جامعة الجزائر، مخبر المخطوطات، ج 2، 2003م.

42. المسعودي أبو الحسن ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، د،ط ، موفم للنشر ، الجزائر، رغاية ، 1989 ، ج1.

43. معاوية البلال، قراءة في استراتيجية المعنى، المكان في القصة السودانية الحديثة، مجلة نزوى، ع 22 أبريل 2000م.

44. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، ط1، بيروت، لبنان، 2001م.

45. مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.

46. ناصر عبد الرزاق الموافي الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ط1، دار النشر، الجامعات المصرية، مكتبة الوفاء للطباعة والتوزيع، القاهرة، 1995م.

47. نبيلة ابرهيم ، فن القصة ، في النظرية والتطبيق ، د،ط ، دار القباء ، د،ت.

48. الورتلاني سيدي الحسين بن محمد، الرحلة الورتيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ط1، تقديم محمد بن أبي شنب مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج1، 2008م.

49. وهب رومية، الرحلة في القصيدة الجاهلية، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979م.

50. يوري لوتمان ، مشكلة المكان الفني ، تر : سيزا قاسم ، مجلة البلاغة المقارنة ، ع 6 ، 1986م، القاهرة.

# فهرس المحتويات

# فهرس الموضوعات


| فهرس الموضوعات | الصفحة |
|---|---|
| **شكر وعرفان** | |
| **مقدمة** | أ |
| **الفصل الأول: ضبط المفاهيم والمصطلحات** | |
| **أولا: المكان، المفهوم والأنواع والأهمية** | 05 |
| 1- مفهوم المكان | 05 |
| 2- أنواع المكان | 09 |
| 3- أهمية المكان في النص السردي | 12 |
| 4- علاقة المكان بعناصر السرد القصصي | 13 |
| **ثانيا: أدب الرحلة المفهوم النشأة، الخصائص الفنية، والأنواع** | 18 |
| 1- مفهوم الرحلة | 19 |
| 2- نشأة أدب الرحلة وتطوره | 22 |
| 3- أنواع الرحلات | 26 |
| **الفصل الثاني: الحبك المكاني في رحلة الوزير في افتكاك الأسير** | |
| **أولا: التعريف برحلة الوزير في افتكاك الأسير** | 31 |
| 1- الجانب الشكلي للكتاب | 31 |
| 2- محتوى الكتاب | 31 |
| ثانيا: مضمون الكتاب | 32 |
| **ثالثا: أنواع المكان في رحلة الوزير افتكاك الأسير** | 33 |
| 1- المكان الأصلي: (المغرب مدينة المنطلق) | 33 |
| 2- المكان الآخر | 34 |
| 3- مكان الهدف | 38 |

| | |
|---|---|
| **رابعا: الأمكنة المغلقة والأمكنة المفتوحة** | 70 |
| 1- الأماكن المغلقة | 70 |
| 2- الأماكن المفتوحة | 70 |
| **خاتمة** | 52 |
| **قائمة المصادر والمراجع** | 55 |
| **ملخص** | |

**ملخص:**

من هذا البحث المعنون بـ"**الحبك المكاني في رحلة الوزير في افتكاك الأسير لمحمد الغساني الأندلسي**"، نحاول من خلاله الوقوف عند المكان في الرحلة، وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي المعتمد آلية التحليل لأنه أكثر توافقا مع طبيعة الموضوع.

قسمنا بحثنا إلى فصلين، مسبوقين بمقدمة، ثم خاتمة.

جاء الفصل الأول المعنون بـ: "**ضبط المفاهيم والمصطلحات**"، كان نظريا حيث تناولنا فيه مفهوم المكان، وأنواعه وأهميته في النص السردي، وعلاقاته بعناصر السرد القصصي (الشخصية، الحدث، الزمن اللغة) كما تناولنا كذلك مفهوم الرحلة، ونشأتها، وخصائصها الفنية وأنواعها.

أما الفصل الثاني المعنون بـ: "**الحبك المكاني في رحلة الوزير في افتكاك الأسير**"، وكان تطبيقيا فقد أفرد لدراسة المكان في الرحلة كما عرضنا تعريفا برحلة الوزير في افتكاك الأسير ومضمون الرحلة، وخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة.

**الكلمات المفتاحية:** المكان – الرحلة – محمد الغساني الأندلسي.

**Abstract:**

From this research entitled “The spatial plot in the minister’s journey in the capture of the prisoner by Muhammad al-Ghassani al-Andalusi”, through which we try to determine the place in the journey, and we have relied on the descriptive method adopted as the analysis mechanism because it is more compatible with the nature of the topic.

We divided our research into two chapters, preceded by an introduction and then a conclusion.

The first chapter, entitled: “Control of Concepts and Terminology,” was theoretical, in which we discussed the concept of place, its types, its importance in the narrative text, and its relationships to the elements of narrative narration (character, event, time, language). We also discussed the concept of the journey, its origins, and its artistic characteristics and types.

As for the second chapter, entitled: “Spatial plot in the minister’s journey in separating the prisoner,” it was practical and was devoted to studying the place in the journey. We also presented a definition of the minister’s journey in separating the prisoner and the content of the trip, and a conclusion that included the most important results that we reached through this study.

**Keywords:** place - journey - Muhammad Al-Ghassani Al-Andalusi.